الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الاجتماعية

مستغانم

دليل مقابلة

تحية طيبة :

يأتي دليل المقابلة الذي بين أيديكم في إطار انجاز دراسة ميدانية أكاديمية تحمل عنوان " تأثير القنوات الفضائية على الهوية الثقافية " دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الطلبة الجامعيين ، وذلك من أجل نيل شهادة الماستر علوم الإعلام والاتصال تخصص : وسائل الإعلام والمجتمع بكلية العلوم الاجتماعية "عبد الحميد ابن باديس " مستغانم .

نرجوا منكم التعاون قدر المستطاع والإجابة على أسئلة دليل المقابلة ، مساهمتكم أمر ضروري من أجل تحقيق أهداف بحثنا .

إعداد الطالبة :

مقري خديجة

اشراف الدكتور :

العربي بوعمامة

المحور الأول :

– السؤال الأول : هل تشاهد القنوات الفضائية بصفة منفردة أم جماعية " أفراد العائلة أو الأصدقاء " ؟

- السؤال الثاني : ما هو عدد الساعات التي تقضيها في متابعة القنوات الفضائية ؟ و الأيام التي تشاهد فيها الفضائيات ؟

- السؤال الثالث : ما نوع القنوات الفضائية التي تقبل على مشاهدتها؟ و أهم البرامج التي تتابعها بكثرة ؟

- السؤال الرابع : ماهي الدوافع والغايات من متابعتك للقنوات الفضائية ؟

المحور الثاني :

-السؤال الأول : هل تجد حرجا في مشاهدة القنوات الفضائية خاصة مع أفراد العائلة ؟

– السؤال الثاني : هل القنوات الفضائية تقدم الثقافية العربية من خلال برامجها ؟ و ما هو رأيك في مضمون القنوات الجزائرية و هل ترى أنها تعكس الثقافة الجزائرية ؟

– السؤال الثالث : هل مشاهدة القنوات الفضائية تجعلك تنبهر بنمط حياة المجتمعات الأخرى ؟

السؤال الرابع : هل شعرت يوما بضعف روح الولاء و الانتماء للوطن أي أنك مغترب عن الوطن ؟

المحور الثالث :

السؤال الأول : كيف تقيم استخدام اللغة العربية داخل الجامعة ؟ و واقع اللهجة العامية المتداولة حاليا بين الطلبة ؟ .

السؤال الثاني : على ذكر لهجة الشباب الجامعي المتداولة الآن – ما رأيك في الكلمات المستخدمة في الأغاني الجزائرية ؟ وهل ترى أن الفن الجزائري يعكس ثقافتنا ؟

السؤال الثالث : القنوات الفضائية تقدم برامج متنوعة و مختلفة و تبرز المشاهير و غيرها هل ترى أن الطالب الجامعي يقلد كل ما يشاهده عبر هذه القنوات ؟

السؤال الرابع : هل تراعي المودة في اختيار ملابسك ؟ و ما رأيك في الملابس التي يقبل عليها الطلبة ؟

.

المحور الرابع :

السؤال الأول : كيف ترى تأثير القنوات الفضائية على الوازع الديني على الطلبة ؟

السؤال الثاني : ما رأيك في العلاقات التي تقام بين الطلبة و كذا السلوكيات داخل الجامعة ؟ و كيف انعكس ذلك على الجامعة و مستوى الطالب

السؤال الثالث : كيف ترى تأثير القنوات الفضائية على القيم الاجتماعية والهوية الثقافية على الشباب الجامعي ؟

السؤال الثالث : كيف ترى تأثير القنوات الفضائية على القيم الاجتماعية والهوية الثقافية على الشباب الجامعي ؟

كلمة شكر وتقدير

يسرني بداية أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان والتقدير، لأستاذي الدكتور العربي بوعمامة، المشرف على هذه الدراسة، شاكرة له توجيهاته وإرشاداته ونصائحه لي، خاصة على تواضعه ومعاملته الطيبة والحسنة، فله مني خالص الشكر والاحترام والتقدير.

كما أتوجه بشكر الأستاذة بن دنيا ، والتي لم تبخل علي بالتوجيه والنصح، حتى وإن كان من بعيد، و جزيل الشكر كذلك إلى الأستاذة بن عمار و الأستاذة بخاري واللتان منحتاني من وقتهما بالرد على استفساراتي.

والشكر موصول للأستاذ صالح فلاق شبرة، والذي يعطي من علمه دون مقابل سوى طلب الدعاء.

وأشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد لإتمام هذا العمل، و أخص بالذكر الأستاذ منصور مرقومة ، رئيس قسم الفلسفة الأستاذ عباس الشارف ، أستاذي وقدوتي الدكتور بعلي محمد .

و جزى الله الجميع عنا خير الجزاء

إهـداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من أمرني الله بشكرهما

إلى من خص لهما الرحمان من قوله مكانا في قرآنه الكريم

إلى من جعل الله رضاه من رضاهما

إلى من هم أحق الناس بحسن صحابتي، والدايّ الكريمين " أمي و أبي"

داعيا المولى عز في علاه أن يطيل في عمر أبي ، ويسكن من وهبتني الحياة جنات النعيم

إلى إخوتي كل باسمه

إلى أختي ورفيقة دربي شاكرة لها دعمها وتشجيعها، فلها مني كل الاحترام

إلى كل زملائي في الدراسة، خاصة منهم تخصص وسائل الإعلام والمجتمع، أخص منهم

أخواتي في الله، امال ، مليكة ، أسماء ، فاطمة حباد ، فاطمة لعراجي

إلى كل معلم و أستاذ و شيخ له الفضل في تعليمي

إلى كل طالب علم

إلى كل غيور محب لهذا الوطن، محب لأمة الإسلام

إليكم جميعا أهدي هذا العمل.

خديجة مقري .

المـقدمــة :

تعرف المجتمعات اليوم ثورة إعلامية و معلوماتية و تحولات تكنولوجية كبيرة، تمثل في حقيقتها عصر العولمة، حيث سيطرت فيه قوى عظمى، فيما بقيت أخرى مغلوب على أمرها لا تتعدى فيه دور الملتقي و أدى هذا التطور المتسارع في تكنولوجيا الاتصال و الإعلام، إلى جعل العالم قرية كونية مفتوحة، ألغى بذلك كل المفاهيم التقليدية للحدود بين الدول، سواء كانت حدود جغرافية أو سياسية أو ثقافية أو غيرها، و أصبح بذلك العالم كله داخل غرفة كل واحد منا، و تقلصت مع هذا التطور و التحول عوائق الزمان و المكان .

لقد أتاحت هذه التطورات في تكنولوجيا الإعلام و الاتصال للأفراد الارتباط بعدد متنوع من وسائل الإعلام و الاتصال، و بالتالي وفرت لهم الكثرة و التنوع في البدائل المتاحة بين الوسائل، بالإضافة إلى ذلك القدرة على استقبال الرسائل الإعلامية ، مما يطرح مفهوم العولمة الإعلامية و الثقافية .

و يأتي البث الفضائي والقنوات التلفزيونية في مقدمة هذه الوسائل الإعلامية ، حيث أخذت تتغلغل في مجتمعاتنا جاعلة لنفسها مكانة في حياتنا اليومية ، كغيرها من وسائل الإعلام و الاتصال التي ظهرت عبر محطات متتابعة، أثيرت حولها نقاشات علمية كثيرة، حيث استقطبت اهتمام الباحثين و الدارسين في حقول علمية مختلفة للوقوف عند أهم الأدوار و التغييرات و التأثيرات التي أحدثتها هذه الوسيلة في المجتمع فظهرت معها تخوفات لما يحتمل أن يؤدي متابعة البرامج من تأثيرات، و لا يمكن أن ننكر أن لظهور أي مبتكر في مجتمع ما إلا و كان له اثر في حياة الأفراد، سواء من الناحية الايجابية أو السلبية.

إن البحث في هذه الوسيلة تطور بشكل غير مسبوق و ملفت للانتباه، بعدما تعاظمت قدراتها و تنوعت برامجها و بالتالي أصبح لها قدرة اكبر في التأثير ، خاصة و أنها آخذة في التوسع يوما بعد يوم في اكتساب جمهور متابعيها، بالإضافة إلى طبيعة تركيبتها بدمج الصورة والصوت معا و كذا التنوع في

المحتوى و المضمون الذي تحمله هذه الوسيلة ، و الذي أصبح يساق إلى مجتمعاتنا دون إذن أو أدنى رقابة، في صورة تدفق معلوماتي صعَّب التمييز فيه بين الضار من النافع منه، و قد حاول الباحثون دراسة طبيعة هذا المضمون، و دراسة جمهورها ، و معرفة كيف يمكن أن تؤثر في أفراد المجتمع بمختلف طبقاته

دخلت كل بيت وصارت تلعب دورا رئيسيا في وعي المتلقي والتأثير في مفاهيمه وقيمه وعاداته وتقاليده وطغت على المكونات الأخرى كالأسرة والمجتمع .

فبعد تطور الأقمار الصناعية وانتشار أجهزة الاستقبال و تعدد القنوات الفضائية صار بإمكان الأفراد التجول في العالم عن طريق استخدام جهاز التحكم الذي يمكن من التجول في العالم والاطلاع على مختلف البرامج والمنوعات ، وبعد دخول الجزائر أقمار البث الفضائي منذ 1986 أصبح البث الفضائي المباشر يطرح العديد من القضايا المعقدة والمتشابكة في المجالات الثقافية و أدى إلى إبراز العديد من الانشغالات فيما يرتبط بتواجد البث المباشر و أثره على ثقافة المجتمع الجزائري و أعرافه .

خصصنا لهذه الدراسة ثلاثة فصول بحيث تناولنا في الفصل الأول لمحة تاريخية عن ظهور الأقمار الصناعية في العالم و كذا التطورات الحاصلة في المجال التلفزيون و القنوات الفضائية ، و التي أفرزت أشكالا جديدة للاتصال الجماهيري ، في مقدمتها بث القنوات الفضائية بواسطة الأقمار الصناعية فلم تعد بذلك المشاهدة مقتصرة على قناة واحدة كما كان من قبل ، بل أتاحت فرصة الاختيار حسب الأذواق والميولات والاتجاهات والتجارب و اختيار القنوات التي يرغب فيها من شتى أرجاء المعمورة ، وتم التطرق أيضا إلى أنواع الأقمار الصناعية و تاريخ انطلاقها ، إضافة إلى أول تجارب البث الفضائي في العالم واستقبال الفضائيات الغربية في المنطقة العربية و كيف قامت الدول العربية باستقبالها تدريجيا ، و أول دخول رسمي للجزائر ميدان البث الفضائي ، وأمام هذا التطور الهائل للأقمار الصناعية أصدر ميثاق

الشرف الإعلامي العربي عريضة من القوانين التي يجب إتباعها بغية حماية السياق الاجتماعي للمنطقة العربية و الحفاظ على خصوصيته .

أما الفصل الثاني تناول أهم المفاهيم الرئيسية للهوية والثقافة ومحاولة ضبط تعريف جامع للهوية الثقافية وإبراز مكوناتها وكذا مصادر الهوية الثقافية العربية ، وواقعها في المجتمع العربي في ظل موجة العزو الثقافي و العولمة التي تحاول بشتى الطرق القضاء تدريجيا على ملامح الهوية العربية ، وإبراز الثقافة العربية الإسلامية كأساس للهوية الثقافية التي تبقى المعبر الأصيل عن خصوصية الهوية ، وتهدف معظم البرامج التلفزيونية إلى استقطاب عدد كبير من شريحة الشباب باعتباره الفئة العمرية الأكثر تقبلا واستعدادا لتجريب كل ما يشاهده و تأثره بالصور النمطية التي تبرز تفوق ونجاح المجتمعات الأخرى وبالتالي تجعل الشباب بين جدلية رفض القيم المسوق لها أو القبول .

أما الفصل الثالث تضمن عدة جوانب ومنها أثر وسائل الإعلام في النظام الاجتماعي والثقافي وكذا أثرها في الثقافة باعتبار أنها تقدم كم معلوماتي هائل ، تستطيع من خلاله التأثير على الثقافات القومية والمحلية

و قمنا بإبراز التأثيرات الايجابية لوسائل الإعلام على الثقافة كتعزيز القيم وتحقيق الانسجام الاجتماعي والنظر إلى المجتمع من عدة زوايا .

بالإضافة إلى تناول أبعاد تأثير القنوات الفضائية على الهوية الثقافية خاصة عنصر الانتماء لأنه يؤكد حضور مجموعة متكاملة من الأفكار والقيم التي تتغلغل في أعماق الأفراد وكذا الدور الايجابي للقنوات الفضائية على الهوية الثقافية .

أما الجانب التطبيقي فقد أجرينا مقابلات مع 12 مبحوث شمل الطلبة الجامعيين من ثلاثة أقسام بكلية العلوم الاجتماعية عبد الحميد ابن باديس ، وقد اشتمل على أربعة محاور وهي كالتالي : عادات وأنماط مشاهدة القنوات الفضائية ومدى ارتباط الطلبة بها و أهم الفضائيات والبرامج التي يتابعونها كمحور أول ، أما المحور الثاني بعنوان القنوات الفضائية تؤثر على ثقافة الشباب الجامعي وتسهم في اندثار العادات والتقاليد الجزائرية ، أما المحور الثالث يبرز أن متابعة القنوات الفضائية يؤثر في استخدام اللغة بين الطلبة و تساعد الفضائيات على التقليد ، أما أخر محور سمي : القنوات الفضائية بين إضعاف الوازع الديني و التأثير على سلوكيات الطلبة و طمس هويته الثقافية الجزائرية .

_ نتائج عامة :

لقد حاولت الدراسة منذ البداية أن تجيب عن تساؤل رئيسي شكَّل لب المشكلة القائمة في الدراسة، حاولت البحث في العلاقة بين متابعة القنوات الفضائية والأثر المحتمل الحدوث على الهوية الثقافية لدى الشباب، حيث تبين أن خاصية الهوية الثقافية مستمرة ديناميكية ومتغيرة بالإضافة إلى أنها متناقلة من جيل إلى آخر، يعي عناصرها كل جيل تناقلت إليه، وهي تحمل التميُّز والانفراد عن الآخر وتأخذ شكل المناعة كلما ظهر هناك تهديد يمس خصوصياتها.

أما القنوات الفضائية فهي مبتكر ونتيجة تمخضت عن تطور تكنولوجيا الاتصال و الأقمار الصناعية وانتشار و انتشار الهوائيات المقعرة، أتاحت للافراد كم هائل من البرامج على مدار اليوم والأسبوع ، حيث تبين أن ظاهرة ماهدة الفضائيات في مجتمعنا آخذة في الزيادة كل يوم بشكل يصعب معه تقديم أرقام عن عدد مستخدمي الانترنيت، كما تبين أن شبكة الانترنيت هي وسيلة اتصالية إعلامية متكاملة تجمع المكتوب والسمعي والبصري، كما أنها تحمل مغريات كثيرة.

وقد رصدت الدراسة سلوك اتصالي يمارسه الشباب مع هذه التكنولوجية، و كشفت عن مدى استفادتهم من الخدمات والمحتويات التي توفرها وهي كثيرة، كما تبين المكانة التي تحتلها هذه الوسيلة ضمن وسائل الإعلام التقليدية.

كما تبين أن هناك استخدام كبير للانترنيت بصفة فردية انعزالية، وأن مثل هذا الاستخدام من شأنه احتواء الفرد، و من شأنه أن يكون بديلا لكل أنواع و أشكال العلاقات الاجتماعية القائمة في المجتمع.

و قد دلت الدراسة على أن استخدام الانترنيت ذو بعدين إيجابي وسلبي، وهو يرجع إلى ما تحمله هذه الوسيلة من ايجابيات وسلبيات، ويبقى على الفرد أن يفرض الرقابة إلا من نفسه وضميره وأخلاقه و وازعه الديني، و الانترنيت لا تقل تأثيراته عن تأثير التلفزيون، بل تتماثل معه في ذلك.

وتبين أن هناك مخاطر متعددة نتيجة للاستخدام السلبي والخاطئ لشبكة الانترنيت، وهي مخاطر ثقافية وأخلاقية واجتماعية ودينية، ولكن الشباب الجامعي واعي بهذه المخاطر، وأن أهمها المواقع الإباحية على الشبكة.

كما ظهر أن هناك ما يهدد الهوية الثقافية من الخارج، ومن خلال الشبكة، إذ تعتبر هذه الأخيرة أداة من أدوات العولمة الثقافية، كما أن الشباب الجامعي مدرك لهذه الأهداف الخفية و المستترة، من خلال ما تحمله من مضامين، و اعتبارها أداة من أدوات الاختراق الثقافي للمجتمع.

و ظهر كذلك أن الشباب الجامعي يحمل اتجاهات ايجابية و قوية نحو عناصر هويته الثقافية، و كل ما يمثل التمسك بها، و هي راسخة عندهم و لم تتأثر من استخدام الانترنيت، إضافة إلى ذلك فإن طبيعة هذا الاستخدام لم يرقى إلى درجة التعريف بثقافتنا وديننا وعاداتنا وقيمنا، وهي في معظمها استخدامات للتعرف على مجتمعات أخرى.

و خلصت الدراسة إلى التأكيد على ضرورة حماية الهوية الثقافية المحلية، وهذا في إطار الهوية العربية الإسلامية، وهي ضرورة تمليها مستجدات العصر، ما يفرض علينا ضرورة تحصين ثقافتنا.

وفي الأخير فإن إطلاق مثل هذا الحكم يحتاج إلى الكثير من الدقة العلمية، وكذا إلى أدلة امبريقية، حتى لا نقع في مثل الأبحاث التي أقيمت مع التلفزيون، والذي حمّل الكثير من المشكلات والظواهر ، ولكن اكتشف بعد حين أنه ليس العامل الأول المسبب لهذه المشكلات بل هناك عوامل أخرى تشترك معه، و في الحقيقة لا تملك الدراسة إجابة قطعية لهذه المشكلة، ذلك أن العلاقة بين الانترنيت و التأثير على الهوية ليست علاقة سبب و نتيجة بصورة قطعية، و لكن هي أعقد من ذلك، خاصة و أن الدراسة تتناول جانبا بحثيا للدراسات الإعلامية و الذي يعد من أعقدها، و الممثل في دراسة الأثر، ذلك أن مثل

هذه الظواهر تعد متشابكة و معقدة، تتداخل فيها عدة متغيرات و عوامل أخرى، مسببة في ذلك يصعب عزلها.

ويمكن أن نقول أن هذه الوسيلة لن تبقى كما هي عليه اليوم، وقد عبَّر أحد مكتشفي شبكة الويب أن الانترنيت لم تصل بعد إلى ما كان يطمح إليه، وأنها الآن في بداياتها، فسوف تتعاظم قدراتها، ويزداد معها أعداد مستخدميها في السنوات القادمة، و هذا ما يجعل تأثيراتها أشد قوة.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الاجتماعية

مستغانم

دليل مقابلة

تحية طيبة :

يأتي دليل المقابلة الذي بين أيديكم في إطار انجاز دراسة ميدانية أكاديمية تحمل عنوان " تأثير القنوات الفضائية على الهوية الثقافية " دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الطلبة الجامعيين ، وذلك من أجل نيل شهادة الماستر علوم الإعلام والاتصال تخصص : وسائل الإعلام والمجتمع بكلية العلوم الاجتماعية "عبد الحميد ابن باديس " مستغانم .

نرجوا منكم التعاون قدر المستطاع والإجابة على أسئلة دليل المقابلة ، مساهمتكم أمر ضروري من أجل تحقيق أهداف بحثنا .

إعداد الطالبة :

مقري خديجة

اشراف الدكتور :

العربي بوعمامة

المحور الأول :

– السؤال الأول : هل تشاهد القنوات الفضائية بصفة منفردة أم جماعية " أفراد العائلة أو الأصدقاء " ؟

- السؤال الثاني : ما هو عدد الساعات التي تقضيها في متابعة القنوات الفضائية ؟ و الأيام التي تشاهد فيها الفضائيات ؟

- السؤال الثالث : ما نوع القنوات الفضائية التي تقبل على مشاهدتها؟ و أهم البرامج التي تتابعها بكثرة ؟

- السؤال الرابع : ماهي الدوافع والغايات من متابعتك للقنوات الفضائية ؟

المحور الثاني :

-السؤال الأول : هل تجد حرجا في مشاهدة القنوات الفضائية خاصة مع أفراد العائلة ؟

– السؤال الثاني : هل القنوات الفضائية تقدم الثقافية العربية من خلال برامجها ؟ و ما هو رأيك في مضمون القنوات الجزائرية و هل ترى أنها تعكس الثقافة الجزائرية ؟

– السؤال الثالث : هل مشاهدة القنوات الفضائية تجعلك تنبهر بنمط حياة المجتمعات الأخرى ؟

السؤال الرابع : هل شعرت يوما بضعف روح الولاء و الانتماء للوطن أي أنك مغترب عن الوطن ؟

المحور الثالث :

السؤال الأول : كيف تقيم استخدام اللغة العربية داخل الجامعة ؟ و واقع اللهجة العامية المتداولة حاليا بين الطلبة ؟ .

السؤال الثاني : على ذكر لهجة الشباب الجامعي المتداولة الآن – ما رأيك في الكلمات المستخدمة في الأغاني الجزائرية ؟ وهل ترى أن الفن الجزائري يعكس ثقافتنا ؟

السؤال الثالث : القنوات الفضائية تقدم برامج متنوعة و مختلفة و تبرز المشاهير و غيرها هل ترى أن الطالب الجامعي يقلد كل ما يشاهده عبر هذه القنوات ؟

السؤال الرابع : هل تراعي المودة في اختيار ملابسك ؟ و ما رأيك في الملابس التي يقبل عليها الطلبة ؟

.

المحور الرابع :

السؤال الأول : كيف ترى تأثير القنوات الفضائية على الوازع الديني على الطلبة ؟

السؤال الثاني : ما رأيك في العلاقات التي تقام بين الطلبة و كذا السلوكيات داخل الجامعة ؟ و كيف انعكس ذلك على الجامعة و مستوى الطالب

السؤال الثالث : كيف ترى تأثير القنوات الفضائية على القيم الاجتماعية والهوية الثقافية على الشباب الجامعي ؟

السؤال الثالث : كيف ترى تأثير القنوات الفضائية على القيم الاجتماعية والهوية الثقافية على الشباب الجامعي ؟

1_ تحديد الموضوع :

تنمي المجتمعات العربية لدى أفرادها نماذج معينة من الثقافات ، تعكس توجهاتها وتصوراتها الحياتية ونظامها وطبيعة الحضارة السائدة فيها ، شهدت هذه المجتمعات في السنوات الأخيرة مجموعة من التغيرات السريعة والمتلاحقة في العديد من الجوانب الثقافية والفكرية والاجتماعية ، وكان لهذه التغيرات آثارها في الحياة الإنسانية وعلى منظومة القيم الحاكمة لسلوك الأفراد وتصرفاتهم وحتى ثقافتهم .

ولعل من أهم التغيرات التي طرأت على المجتمعات العربية والجزائر خصوصا هو ذلك التطور التكنولوجي الهائل في مجال الإعلام، وخاصة الإعلام الفضائي الذي أصبح عصب الحياة في واقعنا المعاصر وسمه رئيسية ، وأسفر عن الانتشار الواسع للقنوات الفضائية العربية والغربية وازدحام خريطة البث الفضائي بكم هائل من القنوات التي تعددت برامجها وساعات إرسالها، وبدأت تتسابق على إرضاء الجمهور العربي واجتذابها له من خلال ما تقدمه من مواد ترفيهية حتى وان كانت تتعارض مع التنشئة الاجتماعية ومقوماتها وإشاعة النماذج الغربية من خلال نسخ مقتبسة من برامج أمريكية وأوروبية ، ولا شك أن الشباب هم الفئة المستهدفة من تلك البرامج لما لها من تأثير على مجتمعاتهم سلباً أو إيجاباً فكان التركيز على تشويه أفكارهم وتحريف معتقداتهم وتهميش أدوارهم وطمس هويتهم ، من خلال ما تقدمه تلك البرامج التي يجد فيها الشباب فرصة للانفلات من واقعهم والرغبة في الهروب من عزلتهم .

وبهذا شاركت القنوات الفضائية في تعميق الغزو الإعلامي الأجنبي من خلال ما تعرضه من تلك المضامين المقتبسة من البرامج العالمية لتنشر ثقافة جديدة للصورة تطغى عليها أكثر من ظاهرة سلبية تتمثل في الاغتراب والقلق وإثارة الغريزة والفردية ودافعية الانحراف، وكلها مفردات تتأسس في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من مجرد صورة ذهنية إلى نشاط عملي عن طريق التقليد و

التي تقوم على إضعاف الانتماء وتفكيك بنية قيمنا الاجتماعية وتشويه الهوية و القضاء على العادات والتقاليد والأعراف التي عهدتها المجتمعات العربية .

لذا كان موضوع هذه الدراسة حول تأثير القنوات الفضائية على الهوية الثقافية عند الشباب الجامعي خاصة و أنه انتشارها المتزايد واتساع دائرة الجمهور الذي يتعرض لها وازدادت أهميتها وتعاظم تأثيرها على فئات الجمهور، وجمهور المراهقين والشباب بوجه خاص .

وتبرز أهمية تلك القنوات في ظل المتغيرات المتلاحقة التي يعيشها العالم حالياً في محاولة تغيير نمط تفكير الشباب لمفهوم الهوية والعادات والتقاليد بغرس ثقافات غربية نافية للسياق الاجتماعي و أعطت نموذج الإنسان الاستهلاكي المنبهر بالأخر في نمط عيشه و معيشته ، وارتكزت الدراسة على فئة الشباب الجامعي لما يلاحظ يوميا من سلوكيات الطلبة الغير مألوفة و كذا تقليدهم لكل ما يشاهد عبر القنوات من لباس وقصات الشعر وحتى تصرفاتهم وسلوكياتهم ، كأن الجامعة تحولت لفضاء يظهرون فيه نمط الحياة والمعيشة كما تعرضه لهم الفضائيات وهذا كله قاد في وقت قصير إلى تبديل المستوى الفكري لهم وكذا الهوية و الثقافة والقيم والأخلاق .

تـمـهيد :

تواجه العديد من الدول و منها الجزائر مشاكل وأزمات خطيرة تهدد وحدتها الوطنية بالانهيار، ومن أخطر هذه الأزمات بل وأكثرها جدلا أزمة الهوية الثقافية التي تتعلق بتكوين شعور مشترك بين أفراد المجتمع الواحد بأنهم متميزون عن باقي المجتمعات ، ومن هنا أصبحت الهوية الثقافية المحور الرئيسي للأمم والشعوب .

فالهوية من أهم السمات المميزة للمجتمع الجزائري فهي التي تجسد الطموحات المستقبلية في المجتمع وتبرز معالم التطور في سلوك الأفراد وإنجازاتهم في المجالات المختلفة ، و تنطوي كذلك علي المبادئ والقيم التي تدفع الإنسان إلي تحقيق غايات معينة ، فالهوية الثقافية لمجتمع ما لابد وأن تستند إلي أصول تستمد منها قوتها ، وإلى معايير قيمية ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية ، كما شغلت قضية الهوية الثقافية بال المفكرين والعلماء ، خاصة في عصر العولمة والبث الفضائي وتزايد القنوات الفضائية الذي ترك أثارا نتج عنها تحول في الهوية و لعل من بين ما يحتمل أن تؤثر فيه هو الهويات الثقافية و يعد مدخل الهوية الثقافية من مداخل الدراسات الثقافية العامة ، و التي اهتمت بها العديد من الدراسات .

فقد أشار " محمود العالم " إلي أهمية الهوية في تشكيل الشخصية الفردية والمجتمعية وهذا ما أكد عليه "محمد عابد الجابري" إلى أن " الهوية الثقافية "هي حجر الزاوية في تكوين الأمم ، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل ، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار ، حتى لو توفرت الإرادة السياسية".

1_ مفهوم الهوية الثقافية :

1_1 : الهويــة :

مفهوم الهوية يعد من أعقد القضايا تناولا وهو طرح قديم متجدد ، فمسألة الهوية في الواقع الأمر الذي يقود إلى العديد من الأسئلة، فتحديد هذا المفهوم من الناحية النظرية يعد إشكال ذلك أنه مفهوم غير واضح إذ « تعد قضية الهوية وما يرتبط بها من صراعات من أكثر القضايا المثيرة للجدل تاريخيا نظرا لعلاقتها مع المتغيرات الثقافية على مر العصور، بيد أن ما حدث في العقدين الأخيرين من تحولات عالمية اقتصادية ، سياسية وثقافية واجتماعية ، يمكن وصفها بالجذرية ، أدى لطرح قضية الهوية بصورة أكثر كثافة وعمقا ».[1]

[1]– هويدا عدلي: " **الشباب والهوية والعولمة ، جدليات القبول والرفض**" ، مجلة شؤون عربية ، العدد 132، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية 2007، ص : 85 .

وحسب الباحثين المتخصصين في هذا المجال فإن « الهوية عسيرة على الحصر والتعريف فذلك تحديداً بسبب خاصيتها المتعددة ، ذلك ما يضفي عليها تعقيدها، وذلك هو أيضا ما يكسبها مرونتها »[2] .

ويمكن القول أن « مفهوم الهوية في الواقع الآني مفهوم غير واضح ينتقل في الآن ذاته من حالات مختلفة من التغير والثبات في معظم المجتمعات الحديثة بشكل عام »[3].

ومن أجل الاقتراب من هذا المفهوم يمكن استعراض بعض ما جاء في الأدبيات البحثية حول الهوية حيث « يقصد بالهوية سواء كانت هوية جماعة أو شعب معين الملامح و القسمات التي تميز جماعة ما أو شعبا عن الجماعات الأخرى »[4].

فالهوية دائما متصلة بالمقابل مع الآخر، أي أنها "الأنا"، بالمقابل مع "الآخر"، « وهي تلك الذات المحددة والمميزة، بمعنى أن الهوية هي وعي المجتمع لذاته، وعي الوحدة والتماثل، وعي الاختلاف و التمايز»[5].

وبالتالي « فالهوية هي صفات وأحاسيس، ونمط حياة وهي في كل شيء ، في الملبس والمأكل والموسيقى والفن والثقافة ، و الحرية والمقاومة والصمود ، يجب أن نعترف كذلك أنها نمط معيشي يتفاعل مع المتغيرات المحيطة به دون أن يذوب فيه ،فالهوية إذن هي احد مكونات الشخصية الوطنية»[6]

---

[2]– دنيس كوش: "**مفهوم الهوية في العلوم الاجتماعية** "، ط1، ترجمة منير السعداني، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007 ص: 107 .

[3]– علاء عبد الهادي : مرجع سبق ذكره، ص: 301.

[4]– هويدا عدلي ، مرجع سبق ذكره، ص 86

[5]– محمد سعيد طالب : "**الدولة والبحث عن الهوية**" ، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن، 1999، ص 37.

[6]– أحمد محمد علي حجازي: " **الثقافة العربية في زمن العولمة**"، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001، ص :75.

7– غادة طويل : **الثقافة العربية وتحديات** ، كيبي كوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007، ص 72.

8_ – عزي عبد الرحمن : **دراسات في نظرية الاتصال ، نحو فكر إعلامي متميز** ، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل ، بيروت ، العدد، 28، 2003، ص 106.

[9]– محمد عمارة : **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية** ، ط3، مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2003 ، ص 06.

ويمكن أن توصف الهوية بأنها النواة الحية للشخصية الفردية و الجماعية والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع مع الاحتفاظ بمكوناتها ومميزاتها التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموحات الغد .

ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء ؛ أي من حيث تميزه عن غيره فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري بما يشمله من عادات وقيم ومقومات ترتبط بالجماعة وإرادتها في الحياة والوجود بحيث جاء في معجم العلوم الاجتماعية أن الهوية تحدد المميزات الشخصية للفرد ويعبر من خلالها عن بيئته ويشعر من خلالها بالانتماء والتعلق بالجماعة [7].

و يعتبر الأستاذ " عزي عبد الرحمان" أن الانتماء إلى قيم المعتقد هو أعلى سلم الهوية، ويمكن القول في هذا أن الهوية بمعنى الإحساس بالانتماء إلى كل ما يمثل مكونات الهوية.

فهي التي تسمح للفرد أن يتعرف على انتمائه لمجتمعه والتماثل معه « وهوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير ، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره »[8] .

ويؤكد " **ايميل دوركايم** " محللا العلاقة بين الهوية الفردية والهوية الاجتماعية ، يوجد في كل منا كائنان كائن فردي يتكون من المشاعر والأحاسيس التي تتصل بالحياة الخاصة من ناحية ، وكائن اجتماعي يتكون من منظومة الأفكار والمشاعر والعادات التي تعبر فينا عن المجموعة وان تلاحم هذين الوجهين هو الذي يكون الكائن الاجتماعي ، وفي ظل الظروف الحالية ومن خلال الحياة المعاصرة فقد حدث الكثير من التحولات والتغيرات في بنية المجتمع يسأل من خلالها الشباب من أنا ؟ ومن أكون ؟ أي القيم أتبناها في معاشي ؟ [9] .

وتحمل الهوية ثلاث مستويات:[10]

- المستوى الشخصي للهوية : ويشير إلى الهويات الفردية التي تدرك على أنها فريدة بخبرات الأفراد وهذه الهويات تعد ذات صفة خاصة محددة للأفراد.
- المستوى الجماعي للهوية ويشير إلى الهويات لدى الأفراد بسبب عضويتهم في الجماعة كالعرق و النوع.
- المستوى الأعلى للهوية أو الهوية الجمعية التي يعيشها الأفراد ، و ترتبط بكل البشر على أساس السمات البشرية التي يشتركون فيها.

ويمكن تمييز معنى الهوية وفق تأويلين* :

- فالتصور الأول وهو التأويل الماهوي، الذي يعتبر الهوية عبارة عن أمر اكتمل وانتهى وتحقق في الماضي على فترة زمنية معينة.
- التصور التاريخي والديناميكي للهوية الذي يرى أن الهوية شيء يتم اكتسابه وتعديله باستمرار وليس أبداً ماهية ثابتة، أي أن الهوية قابلة للتحول والتطور.

ومفهوم الهوية بشير إلى تقاطعها في ثلاثة مكونات كما يلي :[11]

- ارتباط الهوية بالإنسانية بكائن حي...، فالحياة هي الوسيط الأساسي اللازم لتحقق مفهوم الهوية.
- المكون الثاني هو الارتباط بمكان ، فهو مكون يمنح الحياة فرصة الاشتغال في فضاء فيزيائي.

10_ أحمد محمد علي حجازي: " **الثقافة العربية في زمن العولمة**" ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001، ص 75.

11_ محمد عمارة ، مرجع سبق ذكره ، ص 06.

12_ عزي عبد الرحمن ، مرجع سبق ذكره ، ص : 104 .

- ارتباط الهوية بتاريخ ما.

وموضوع الهوية في هذه الدراسة مرتبط بالضرورة بالمكون الثقافي، لذا نجد أنفسنا ملزمين باستعراض مصطلح الثقافة والتي تعتبر« سلم يمثل مستواه الأعلى القيم والقيمة ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية ويكون مصدر القيم في الأساس الدين فالإنسان لا يكون مصدر للقيم، و إنما أداة يمكن أن تتجسد فيها القيم »[12].

2_1 الثقافة :

« إن الثقافة تنظم جميع السمات المميزة للأمة سواء كانت هذه المميزات مادية أو روحية أو فكرية أو فنية أو وجدانية ، وتشمل على مجموعة من المعارف والقيم وسبل السلوك والتصرف والتعبير وطرق الحياة كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا ومحاولاته إعادة النظر في منجزات البحث الدائب عن مدلولات جديدة لحياته وقيمة مستقبلية وإبداء كل ما يتوقف به على حد ذاته »[13] .

فالثقافة هي تلك الممارسات وكل أنواع السلوك ، وهي تلك الجوانب المادية واللامادية في الحياة كما أن للثقافة خصائص عامة مشتركة بين كل الثقافات في مختلف المجتمعات ، بالإضافة إلى أن الثقافة لها مصادر تأتي منها هذه الأخيرة وأما عن طرح الهوية الثقافية في الدراسة فهو أمر لا بد منه ومطلوب ومنه

فإن الثقافة لصيقة بالهوية وهي تحتكم إلى الحقل الثقافي بشكل كبير« ومن هنا تأتي أهمية الحديث عن الهوية الثقافية، حيث تعد الثقافة حقلا يضم مجالات مختلفة: الدين، والمعتقدات، والقيم، والعادات والتقاليد، والأعراف، وغيرها من الثوابت والمتغيرات يحتفظ بها مجتمع ما، على المستوى الآني والتعاقبي »[14] ويمكن القول أن الثقافة هي اللبنة الأساسية للوجود الاجتماعي للهوية « فالهوية ترتبط بالعقل الثقافي وهي تتحرك في حقل تتقاطع فيه عدة مجالات كالمجال اللغوي، والاجتماعي، و الإثني والعقائدي وبالتالي تعتبر الثقافة محورا أساسيا يقوم عليه بناء هوية ما »[15].

1_3 خصائص الثقافة [16]:

- أنها ظاهرة إنسانية ، أي فاصل نوعي بين الإنسان و سائر المخلوقات لأنها تعبير عن إنسانيته ، كما أنها وسيلته المثلى للالتقاء مع الآخرين .
- أنها تحديد لذات الإنسان و علاقاته مع نظرائه و مع الطبيعة و مع وراء الطبيعة من خلال تفاعله معها و علاقاته بها في مختلف مجالات الحياة .
- أنها قوام الحياة الاجتماعية وظيفية و حركية .
- أنها عملية إبداعية متجددة تبدع الجديد و المستقبلي من خلال الشرائح التي تمثلها و تعبر عنها فالتفاعل مع الواقع تكييفا أو تجاوزا نحو المستقبل من الوظائف الحيوية لها .

13_ أمين سعيد عبد الغني: " **الثقافة العربية الفضائيات** " ، ط1، ايتراك للنشر و التوزيع، القاهرة، 2003 ، ص : 123 .

14_ محمد عابد الجابري: " **العرب و العولمة**" ، ط3، بيروت، 2000 ، ص: 87 .

15_ محمد عمارة ، مرجع سبق ذكره ، ص : 08 .

16_ احمد فراج، إسماعيل سراج الدين ، علي جمعة محمد وآخرون : " **خصائص الثقافة العربية الإسلامية** "، ط1، في ظل حوار الثقافات ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2006، ص 188.

17_ سعيد التل:" **هوية الإنسان في الوطن العربي**" ، مجلة شؤون عربية ، العدد 133، مصر، 2008، ص 226.

- أنها إنجاز كمي مستمر تاريخيا فهي بقدر ما تضيف من الجديد ،تحافظ على التراث السابق و تحدد قيمه الروحية و الفكرية و المعنوية و هذا هو أحد محركات الثقافة الأساسية
- و تتسم الثقافة العربية الإسلامية أساسا بسمتين : أولهما هي الثبوت فيما يتعلق بالمصادر القطعية و ما جاءت به من عقائد و تشريعات و قيم و مناهج و ثانيتها هي سمة التغيير فيما يتعلق بدخول ثقافات جديدة على المجتمع و تتجلى هذه الخصائص في : العالمية ، و الشمولية ، و الوسيط ، و الواقعية ، و الموضوعية ، و التنوع في الوحدة .

تكون الثقافة العربية الإسلامية المنطلقة أساسا من القرآن و السنة ثقافة إنسانية متفتحة ، داعية إلى التعايش و الحوار و التفاهم .

و يستنتج من هذا كله أن الثقافة الإسلامية تختلف عن الثقافات الأخرى في أن مقومات كل منها تختلف عن الأخرى ، فالثقافة العربية الإسلامية إسلامية المصدر تستمد كيانها من القرآن الكريم و السنة النبوية و اللغة العربية و اجتهادات العلماء ، و عصارة الثقافات التي اختلطت بها و امتزجت عناصرها معها بينما نجد الثقافة الغربية على وجه الإجمال تستمد مصادرها من الفكر اليوناني ، و اللغة اللاتينية ، و تفسيرات المسيحية التي وصلتها [17].

و بذلك تكون أهم خاصية تتميز بها الثقافة العربية أنها امتزجت بالثقافات الأخرى التي كانت سائدة في عهود الإسلام الأولى ، و تفتحت لعطاء الأجناس و الديانات و العقائد التي تعايشت مع المجتمع العربي الإسلامي فصارت بذلك ثقافة غنية المحتوى متعددة الروافد متنوعة المصادر و لكنها ذات روح واحدة و هوية متميزة متفردة ..

18_ صالح أبو أصبع:" **تحديات الإعلام العربي، دراسة الإعلام، المصداقية، الحرية، التنمية، والهيمنة الثقافية** "، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1 1999، ص 46.

4_1 الهوية الثقافية :

« تعرف الهوية الثقافية على أساس أنها القيم الثقافية ونمط الحياة والممارسات، والسمات الأخرى لجماعة يشترك فيها الأفراد وينسبون أنفسهم إليها »[18] ، وبالتالي الأفراد ينتسبون إلى جملة من القيم والممارسات والسمات ويشتركون فيها، وعليه يمكن القول أن « الهوية الثقافية لأية أمة من الأمم هي الشفرة التي يمكن عن طريقها أن يتعرف عليه (الفرد) بها الآخرون باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة أو أنها القدر

الثابت و الجوهري المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية والقومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الأخرى » [19].

ويعرف "**محمد عابد الجابري** " : الهوية الثقافية على أنها ذلك الكل المركب من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات ، التي تحتفظ بها جماعة بشرية وهي المعبر الأصيل الذي يعبر عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم "[20] .

أي أنها مجموعة السمات والخصائص التي تنفرد بها الشخصية العربية وتجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الثقافية الأخرى ، وتتمثل تلك الخصائص في اللغة والدين والتاريخ والتراث والعادات والتقليد والأعراف وغيرها من المكونات الثقافية ذات السمة العربية والإسلامية .

ويرى " **محمود أمين العالم** ": أن الهوية ليست أحادية البنية ، أي لا تتشكل من عنصر واحد سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان والأخلاق أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها وإنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها ".[21]

وأشار أحد الباحثين إلى أن الهوية " مفهوم اجتماعي نفسي يشير إلي كيفية إدراك شعب ما لذاته ، وكيفية تمايزه عن الآخرين ، وهي تستند إلي مسلمات ثقافية عامة ، مرتبطة تاريخيا بقيمة اجتماعية وسياسية واقتصادية للمجتمع" [22] .

كما أن الهوية الثقافية ترتبط بالانتماء فقد عرفها البعض بأنها " مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة ، والتي تولد الإحساس لدي الأفراد بالانتماء لشعب معين والارتباط بوطن معين والتعبير عن مشاعر الاعتزاز، والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد"[23] .

ومن المفاهيم التي قدمت للهوية الثقافية ما تبنته منظمة " **اليونسكو**" والذي ينص علي أن الهوية الثقافية تعني أولا وقبل كل شيئ أننا أفراد ننتمي إلي جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية ، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها ويتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها

---

[1]9_ سعيد التل ، مرجع سبق ذكره ، ص : 228 .

20_ محمد عابد الجابري: " **العرب و العولمة** " ، مرجع سبق ذكره ، ص : 89 .

21_محمد سكران ، **" العولمة والهوية الثقافية "** ، رؤية نقدية ، ندوة العولمة والخصوصية الثقافية ، جامعة سلطان ، تونس ، 1999 ، ص : 87

22_ سعيد التل ، مرجع سبق ذكره ، ص : 230 .

23_ أحمد محمد علي حجازي: " **الثقافة العربية في زمن العولمة**" ، مرجع سبق ذكره ، ص : 77 .

24_ حيدر إبراهيم ، **" العولمة وجدلية الهوية الثقافية "** ، عالم الفكر ، المجلد الثامن والعشرين ، العدد 2 ، الكويت ، 1999 ، ص : 56 .

25_ نادية محفوظ مصطفى،" **خصائص الثقافة العربية الإسلامية في ظل حوار الثقافات** "، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 07.

26_ محمد الجوهري حمد الجوهري، " **العولمة والثقافة الإسلامية** "، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2002، ص 96.

27_ باقر سليمان النجار ، " **العولمة صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي** "، مجلة المستقبل العربي، بيروت ، العدد [8] ص : 76 .

وعاداتها وأسلوب حياتها ، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه أو الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية ، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعا من المعادلة الأساسية التي تقرر بطريقة إيجابية أو سلبية الطريقة التي ننتسب بها إلي جماعتنا والعالم بصفة عامة [24] .

وذكرت المنظمة **العربية للتربية والثقافة والعلوم** أن "الهوية الثقافية هي النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد والجماعة والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع ، مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموح الغد" [25] .

ويتقارب مفهوم الهوية في الغرب من مفهومها لدى العرب فقد عرفها بعض الغربيين بأنها " تعبر عن الشعور بمجموعة من السمات الثقافية للجماعة ، والميل إلي ربط الشخص بالبيئة الاجتماعية التي ينتمي لها وبالتالي تميزه عن غيره من الجماعات والمجتمعات الأخرى " [26].

وهذا معناه أن كل ثقافة تتميز عن غيرها من الثقافات الأخرى من حيث طبيعة الشخصية ، وطريقة الفهم وأساليب الاتصال وخاصة اللغة ، والأشكال المختلفة للسلوك وأساليب الحياة التي ينتجونها بالإضافة إلي المعايير والقيم والعلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفرادها .

تتجسد الهوية الثقافية على أنها أساس القيم الثقافية ونمط الحياة والممارسات والسمات الأخرى لجماعة يشترك فيها الأفراد وينسبون أنفسهم إليها ، وبالتالي الأفراد ينتسبون إلى جملة من القيم والممارسات والسمات ويشتركون فيها وعليه يمكن القول أن « الهوية الثقافية لأية أمة من الأمم هي الشفرة التي يمكن عن طريقها أن يتعرف عليه (الفرد) بها الآخرون باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة، أو أنها القدر الثابت و الجوهري المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية والقومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الأخرى »[27] .

ولا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها الحضارية ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية و على الأخذ والعطاء إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاث عناصر:[28]

– **الوطن:** بوصفه الجغرافيا والتاريخ، حيث أصبحا كيانا واحدا، الجغرافيا أصبحت معطى تاريخياً، و التاريخ قد صار موقعاً جغرافيا.

– **الأمة:** بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة .

– **الدولة:** بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والدولة، وهذا هو المقصود بالدولة.

و منه فان الهوية الثقافية تتحقق و تتجسد في المجتمع عندما يتكلم أفراده نفس اللغة ، و يتبعون نفس الدين و المعتقدات و يقومون بنفس الأنشطة الاجتماعية

2_ الثقافة العربية الإسلامية كأساس للهوية الثقافية :

تعتبر الثقافة العربية الإسلامية كأساس وتعبير لهويتنا « وهي ذات دلالة بالنسبة للرابطة بين العروبة والإسلام وهي ثقافة أخلاقية بمعنى أنها لا تفصل بين القيم وبين السياسة والاقتصاد والبيئة والمجتمع وهي ثقافة حيوية يستمر تواصلها وعطاؤها عبر أقطار العالم الإسلامي وعبر مراحل التاريخ ، وهي ثقافة تعتز بذاتها»[29] .

والأصل في هويتنا الثقافية أنها عربية إسلامية وهي تعتبر أساس الهوية وجوهرها وثوابتها « فالثقافة العربية هي الثقافة الإسلامية ، والثقافة العربية هي ثقافة الشعوب التي اعتنقت الإسلام ، وأطلق مصلح

الثقافة العربية على ثقافة الشعوب الإسلامية التي تتكلم العربية فقط دون الشعوب الإسلامية التي لغتها غير عربية ، والصحيح هو أن الثقافة الإسلامية والثقافة العربية والثقافة العربية الإسلامية هي مصطلحات ثلاثة بمعنى واحد يمكن استخدام كل منها »[30] .

والحديث هنا عن الهوية الثقافية في أنها ثقافة عربية إسلامية لا يعني نفيا للانتماءات الفرعية الأخرى،

« فنحن في المنطقة العربية لا نرى أنفسنا إلا قريبا من تلك الانتماءات الدينية والمذهبية التي يتشكل منها

الوطن العربي، فعروبة المنطقة لم تنف عنها اثنياتها »، وبالتالي هذا الأمر تأكيد على أن « الواقع الديني واللغوي و الاثني له آثار عميقة في تحديد هوية الإنسان » .

فالثقافة العربية لها عناصر مشتركة بين جميع أبناء الأمة العربية ، وهي تشمل كلا من اللغة والقيم والعادات والتقاليد وغيرها، ولكن هناك خصوصيات واستثناءات ثقافية يختص بها مجتمع كل إقليم من الوطن العربي ويشترك فيها أبناء المجتمع الواحد .

من الضروري توضيح المعالم الجوهرية التي تميزت بها الثقافة و الحضارة العربية الإسلامية عبر تاريخها الطويل...، فالثقافة العربية الإسلامية إنما هي طريقة الحياة التي تميز المجتمع العربي عن غيره من المجتمعات ، أما هذه المعالم التي تميز الثقافة العربية الإسلامية عن الثقافات الأجنبية فيمكن تحديدها مكوناتها .

28_ حيدر إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص : 101.

29_ محمد سكران ، **" العولمة والهوية الثقافية "** ، مرجع سبق ذكره ، ص : 89 .

30_ علي وطفة، " **الثقافة و أزمة القيم في الوطن العربي**" ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، الثقافة العربية أسئلة التطور و المستقبل، بيروت، ديسمبر، 2003، ص 25.

3_ مـكونات الهـوية الثـقافية :

تستمد الهوية الثقافية مقوماتها من عناصر راسخة شكلتها ثوابت جغرافية تعكس هذا الامتداد الجغرافي دون عوائق ، ومتغيرات تاريخية يتيح الرجوع إليها لفهم أعمق وتطلعات نحو المستقبل تكاد تكون قاسما مشتركا بين أبناء أمة واحدة ، وتراثًا مركباً قاعدته الراسخة قوة الاعتقاد ووسطية في السلوك ، تترجم معاني التسامح رغم التباين في الأعراق والأنساب والمعتقدات ، ولغة عربية هي بوتقة الانصهار الفكري والوجداني لأمة عربية.

إذن فهذا معناه أن الهوية الثقافية العربية تتكون من عدة عناصر مرتبطة ببعضها ، وأي خلل في أحدها يؤدي إلي خلل في باقي مكوناتها ومن أبرز هذه المكونات [31]:

3_1 اللغة :

تعد اللغة هي المكون الأول والرئيسي في الهوية الثقافية ، فهي حياة الأمة وهي بدايتها ونهايتها لأن اللغة في أي مجتمع ليست مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم بين أفراد المجتمع ، ولكنها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية ومعتقدات وخصوصيات هذا المجتمع ، وبالتالي فالحفاظ علي اللغة يعني ضمان بقاء واستمرارية أي مجتمع .

إن اللغة هي التي تجعل وجودا للثقافة وتناقلها من فرد لآخر، ومن جيل لآخر أمرا ممكن الحدوث، واللغة العربية بحكم كونها أداة التفاهم والتعبير فإنها من أهم عوامل الترابط والتماسك بين أبناء المجتمع العربي.

31_ جابر عصفور، " **عوائق الأدب القومي** "، مجلة العربي، العدد 461 ، الكويت ، افريل 1997، ص 74.

والهوية الثقافية للأمة العربية إنما هي حالة ذاتية خاصة ترتبط بمعوقات وجودها ولكن اللغة العربية هي العامل الأساسي المحرك لهذه الذاتية وشرط حصانتها وديمومتها»[32] .

وفي هذا يعتبر" يوسف القرضاوي" أن « اللغة العربية، اللغة الأم للثقافة الإسلامية»[33] ، و عليه فحقيقة اللغة العربية أنها أحد المعالم الهامة المميزة للثقافة العربية والإسلامية ، وأهم العناصر المكونة لنسيج ثقافتنا، وعنصر هام مميز للأمم والشعوب على اعتبارها أوعية ثقافية لها .

فاللغة جزء لا يتجزأ من ماهية الفرد وهويته كما أنها تتغلغل في الكيان الاجتماعي والحضاري لأي مجتمع بشري ، وتنفذ إلي جميع نواحي الحياة فيه ؛ لأنها من أهم مقومات وحدة الشعوب وقد أشارت إلى أهمية الحفاظ على اللغات الخاصة بالمجتمعات بحيث:

إن اللغات هي من المقومات الجوهرية لهوية الأفراد والجماعات، وعنصر أساسي في تعايشهم السلمي ، كما أنها عامل استراتيجي للتقدم نحو التنمية المستدامة والربط السلس بين القضايا العالمية والقضايا المحلية... تعدد اللغات عن بصيرة هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن لجميع اللغات إيجاد متسع لها في عالمنا الذي تسوده العولمة ومنظمات المجتمع المدني .

ولغتنا العربية من الركائز الأساسية للوجود العربي ، فالوحدة اللغوية والثقافية بين البلاد العربية لا تتم إلا بالمحافظة علي اللغة العربية التي تؤدي إلي وحدة الشعور والفكر ، كما كانت اللغة العربية هي الجسر الذي عبر عليه العرب والمسلمون جيلا بعدا آخر لتحقيق التواصل ، ولهذا كانت اللغة العربية ومازالت

جوهر الهوية الثقافية فهي لغة القرآن ، كما أنها لغة ثرية في محتواها ومفرداتها وقد حافظت اللغة العربية علي استمرارية الأمة العربية [34].

ومن المؤكد أن إتقان اللغة العربية يساعد علي الانسجام والتناغم بين أفراد المجتمع ، بل والاعتزاز بهويتهم ؛ لأن أبناء اللغة الواحدة يشكلون قوالب فكرية وثقافية مشتركة ، لذا فاللغة والثقافة تسهم مساهمة فعالة في الحفاظ علي الهوية الثقافية العربية والإسلامية

إذن فالعلاقة بين اللغة وبين الهوية الثقافية علاقة قوية ، ولهذا كان من أهم مقاييس رقي الأمم مقدار عنايتها بلغتها تعليما ونشرا ، ونظرا لأهميتها القصوى ، وكونها عنصرا رئيسا من عناصر الهوية الثقافية تعرضت لحملات كثيرة للقضاء عليها على مر التاريخ ، وأثناء الحملات الاستعمارية التي عانت منها الشعوب العربية خاصة أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر الذي حاول بشتى الطرق فرض اللغة الفرنسية على اللغة الأم ، بغرض القضاء وطمس الهوية الثقافية ، وعلي كل تقليد من التقاليد الاجتماعية والدينية للمجتمع الجزائري .

3_2 الديـن :

إن الدين الإسلامي هو أحد مقومات الثقافة العربية « وبقدر ما يقوم الدين بتشكيل الثقافة يقوم أيضا بشحنها بالرموز و المضامين و القيم، و هو يفضي إلى تعبئة المخيال الاجتماعي برموز و قيم و عادات و تقاليد من شانه استثمارها في الحقل الثقافي »[35].

32_ عمار بوحوش، " **لغتنا العربية، جزء من هويتنا**"، مجلة المستقبل العربي، العدد 35، جانفي 1999، ص : 124.

33_ يوسف القرضاوي ، " **الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي**"، منتدى الفكر العربي، الأردن، 1998، ص13.

34_ عمار بوحوش ، مرجع سبق ذكره ، ص : 126 .

35_– عبد الرحمان شيبان ، " **الغزو الثقافي بين الحصانة الذاتية و البناء الحضاري**"، مجلة الثقافة، العدد 89، وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، 1985، ص 08

36_ يوسف القرضاوي ،مرجع سبق ذكره ، ص : 97 .

" ومعظم العرب يدينون بالإسلام الذي يرتبط باللغة العربية وقد أدى دورا كبيرا في نشر الثقافة العربية وتحديد معالمها حتى أنه لا يمكن فهم عناصر الثقافة العربية الإسلامية من اجتماعية وفكرية ومادية إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشريعة الإسلامية فالإسلام هو الدين الجامع المانع الملم لكافة الدول العربية ومعلم من معالم الثقافة العربية ، حيث أن الاعتقاد الديني هو الأصل الذي تقوم عليه الثقافات "[36] .

تستمد الهوية الثقافية العربية مقوماتها من الدين الإسلامي الذي يدعو إلي الحق ويتخذ من الإنسان موضوعا له فالخطاب القرآني موجه للناس جميعا .

فالدين هو المكون الأول لهويتنا الثقافية ، لأنه هو الذي يحدد للأمة فلسفتها الأساسية عن سر الحياة وغاية الوجود ، كما يجيب عن الأسئلة الخالدة التي فرضت نفسها علي الإنسان في كل زمان

ومكان ، فالإسلام له تأثيره العميق والشامل في هويتنا الثقافية ، كما أن التوحيد بمعناه الشامل يمثل أبرز ملامح هويتنا الثقافية ، والتدين هنا لا يعني ممارسة الشعائر الدينية وحدها بل هو موقف من ثوابت كثيرة.

إذن لا يمكن تصور وجود للهوية الثقافية العربية إلا بوجود الدين الإسلامي باعتباره سمة مميزة للمجتمعات العربية والإسلامية ، وأداة المسلمين لمقاومة الاغتراب الثقافي ، وبالتالي فأي هجوم علي الإسلام هو بمثابة محاولة استلاب للهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية [37] .

وقد أشار الكثير من مفكرين وفلاسفة الغرب إلي أهمية العناية بالجانب الديني قبل أية جوانب أخري ، فمثلا يقول " **وليم جيمس** " : " الإيمان بالله هو الذي يجعل للحياة قيمة ، وهو الذي يمكننا من أن

نستخرج من الحياة كل ما فيها من لذة وسعادة ، وهو الذي يجعلنا نتحمل كل ما في الحياة من محن ونتقبلها بكثير من الشجاعة والرضا ، وهو الذي يهيئ لنا كل ما هو ضرورة للحياة " [38] .

استمد المجتمع الجزائري الكثير من الممارسات والطقوس ذات صبغة إسلامية ميزته عن باقي المجتمعات الأخرى وأضفت إليه الكثير من القيم كروح التعاون والمساعدة في شتى المجالات .

3_3 التاريخ :

لا يمكن لأية أمة أن تشعر بوجودها بين الأمم إلا عن طريق تاريخها ؛ الذي يمثل أحد قسمات هويتها فالتاريخ هو السجل الثابت لماضي الأمة وديوان ذكرياتها ، وهو آمالها وأمانيها ، بل هو الذي يميز الجماعات البشرية بعضها عن بعض ، فكل الذين يشتركون في ماض واحد يعتزون ويفخرون بمآثره يكونون أبناء أمة واحدة ، فالتاريخ المشترك عنصر مهم من عناصر المحافظة على الهوية الثقافية وعلى ذلك يكون طمس تاريخ الأمة أو تشويهه أو الالتفاف عليه هو أحد الوسائل الناجحة لإخفاء هويتها أو تهميشها [39].

ولهذا لابد من الاهتمام بتطوير مناهج تعليم التاريخ العربي والإسلامي ، فبدلا من أن ترتكز بشكل رئيسي علي عرض التاريخ في شكل حروب وصراعات وخلافات ، فلابد من الاهتمام بعصور السلام والازدهار والرقي والتطورات الاجتماعية التي أحدثها الإسلام في البلاد التي دخلها وأنارها بنوره .

37_ غسان إسماعيل عبد الخالق: **حوارات في الفكر العربي المعاصر**، ط1، دار فارس للنشر و التوزيع، الأردن، 2000، ص 35.

38_ حسن عبد الله العابد، " **أثر العولمة في الثقافة العربية** "، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2004، ص 39.

39_ حيدر إبراهيم ، **" العولمة وجدلية الهوية الثقافية "** ، مرجع سبق ذكره ، ص : 111 .

40_ فوزية دياب ، **" القيم و العادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية "** ، بيروت ، دار النهضة العربية ص :56 .

وغيرهم كثير ممن أثروا الحياة الفكرية وأسهموا في إحداث التقدم والازدهار الحضاري للمجتمع العربي والإسلامي ، فكل هذا يمكن أن يسهم بدور كبير في تأصيل الهوية الثقافية العربية والإسلامية ، بل والمحافظة عليها من الأخطار التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية .

3_4 العادات والتقاليد :

العادات: « هي ما تعود الفرد و المجتمع عليه من سلوكيات يومية و تصرفات حياتية واجتماعية في كافة المجالات و العادات تأتي نتيجة للتفكير ثم الفعل ، و الذي إذا تكرر أصبح عادة ، و مجموع العادات التي هي أساس للصفات العامة ، و أن العادات مثل الأسلاك حينما تنسج معا يصبح من الصعب كسرها ، كما أن العادة لها ثلاث عناصر أساسية هي المعرفة ، المهارة و الرغبة »[40].

و يمكن القول أيضا : أن العادة سلوك بشري وظاهرة فردية خاصة لها ضوابطها تتكون مع التعلم .

« العادات والتقاليد هي فعل اجتماعي متوارث يرتكز على تراث يدعمه ويغذيه ، لها قوة معيارية وتتطلب الامتثال الجماعي والطاعة الصارمة، وتكون مرتبطة بظروف المجتمع الذي تمارس فيه»[41]، وتتجسد العادات والتقاليد العربية بالملابس التي يرتديها العرب، وبالعلاقات والقيم الاجتماعية الأصيلة كاحترام الوالدين وكبار السن و الكرم... ، و تظهر العادات و التقاليد العربية بالتدين والعبادات.

و بالتالي كلها أفعال وقواعد سلوك تمثل ضرورة اجتماعية، وهي تعد في حقيقتها عناصر ثقافية و مصادر لها إلى جانب القيم والدين.

41_ أمينة علي كاظم ، **" التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمع القطري "** ، دار هجر للطباعة والنشر والاعلان والتوزيع ، ط1 ، 1993، ص: 46

42_ عزي عبد الرحمن ، **" الثقافة وحتمية الاتصال نظرة قيمية "** ، مجلة المستقبل العربي ، 2003 ، ص: 15 .

و يمكـن القـول أن طـرح الثقافـة العربيـة الإسـلامية، لا يعنـي إلغـاء ولا إقصـاء الهويـات الثقافيـة المحليـة والتعدد الثقافي في الوطن العربي، أمر لا يجوز القفز عليه، بل يلعب دورا هاما في إغناء وإخصاب الثقافة العربية الإسلامية « الثقافة العربية الإسلامية هي ثقافة مركبة ومعقدة للغاية ، وفي هذه الثقافة يختلط الثابت بالمتغير والموروث بالوافد»[42].

لكل مجتمع عاداته وتقاليده ، قيمه وأعرافه الذي تعكس مستوى أفراده والتي اكتسبها من مئات السنين وامتدت متنامية عبر الزمان والمكان معبرة عن طبيعة المجتمعات ، فالجزائر غنية بتقاليدها و أعرافها التي استقرت في أحضان الحضارة العربية الإسلامية وانصهرت مع التراث الأمازيغي واحتكت بثقافات البحر الأبيض المتوسط ولم تتجلى في الآداب فقط ؛ بل شملت عاداتنا نواحي الحياة كلها من رقص وأغاني و فولكلور ولباس وحتى الطقوس الدينية وتميزت بقدرتها على استيعاب تقاليد ثقافات أخرى دون أن تفقد خصوصيتها وكانت على مر العصور قابلة للنمو والإبداع والتطور وحتى التجدد .

4_ الهوية الثقافية في المجتمع العربي :

تمتلك الهوية الثقافة العربية الإسلامية مجموعة من العناصر التي تجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الأخرى ولكن تعرضت الهوية الثقافية العربية لأزمة ، مما ساعد على اتساعها هو جمود الثقافات لدى الشعوب العربية وفقدان حيويتها وفعاليتها وتجاهل المجتمعات العربية ضرورة تجديد ثقافتها وتأهلها للحوار والتفاعل مع الثقافات الأخرى بالإضافة إلي أن الثورة المعلوماتية اختصت بمجتمعات بعينها وعند انتقال تأثيرات هذه الثورة إلي المجتمعات العربية انتقلت معها ثقافة مجتمعاتها وأنماط معيشتها وسلوكياتهم ، الأمر الذي نتج عنه تبعية ثقافية وسياسية واقتصادية نظرا لعدم التكافؤ بين المجتمعات .

وقد أشار " **محمد حسنين هيكل** " إلي واقع أزمة الهوية حين قال : إن " العالم العربي فقد الإحساس بهويته وتملكته نزعات القبائل المتحاربة ونتيجة ذلك فقد ضاع منه جامعه المشترك ومواقفه المشتركة وهدفه المشترك " [43] .

الأمر الذي أدى إلي ما نراه اليوم من تفكك وضعف وتخلف في المجتمعات العربية لدرجة أنها لم تعد تتخذ قرارا واحدا مما جعلهم مطعما للآخرين ، ولم يعد لهم تأثير يذكر على الساحة الدولية ولذلك لابد من ملاحظة أن سؤال الهوية يطرح نفسه بشدة مع النقلة النوعية للمجتمع الإنساني صوب المعلومات والمعرفة ، بل كمطلب أساسي لكل المجتمعات العربية للحاق بالركب المعلوماتي ، وهذه الأزمة التي تعرضت لها الهوية الثقافية العربية لم تأت من فراغ بل نتيجة مجموعة من العوامل **من أبرزها** :

5- التبعية الثقافية :

إن التبعية ليست وليدة اليوم بل هي نتاج محاولات متكررة عبر سنوات طويلة حيث كان المستعمر يهدف إلي القضاء علي الرموز الأساسية للثقافات ، وخاصة الثقافة العربية بما تملكه من ميراث ضخم وذلك

43_ عبد الودود مكروم ، " **قيم هوية وثقافة –الإنماء –**" ، مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية، المجلة العلمية العشرون ، العدد الرابع والعشرون ، ص : 54 .

بإحداث تغييرات التنظيم الاجتماعي بما يملكه من مجالات متعددة ، وتمثلت أبرز هذه التغييرات في محاولة إقناع البلاد العربية بأن الحل الوحيد هو إتباع النمط الأوربي بكل ما فيه ، للوصول إلي التقدم فكانت النتيجة هي الوقوع والسقوط في بئر التبعية للغرب ولثقافته ، ووقوع الأفراد في حيرة من أمرهم هل يتبعون الغرب ؟ أم يعتمد ون علي التراث ؟ وكانت النتيجة هي أزمة في الفكر تبعتها أزمة في الهوية الثقافية ، وقد أشار " سعيد إسماعيل علي " إلي أن من أبرز عناصر التبعية الثقافية [44] :

1- عملية الإنتاج الثقافي الذي شوه الثقافة الوطنية ، ودفع إلي التأقلم والتعايش مع واقع التبعية .

2- مشاركة الشركات الاحتكارية في نشر الفكر التجاري الاستهلاكي وإنتاج ثقافة التبعية .

3- نشر الأنشطة الثقافية لمجموعة من القناعات والمبادئ والقيم التي تدفع إلى تبني القيم والسلوكيات الغربية وتبرزها وكأنها ملائمة لواقعنا .

وتجسدت التبعية في إحلال قيم وعادات جديدة محل القيم والعادات الإسلامية والعربية والعمل علي تشويه التاريخ العربي والإسلامي ، بل والعمل على إضعاف اللغة العربية والنيل منها فهل نحن قادرون علي المقاومة والتخلص من هذه التبعية ؟ الحقيقة أن هذا الأمر يحتاج إلي مجهود كبير لمواجهتها لأننا لسنا أصحاب هوية متميزة ، لأن الهوية الثقافية التي كانت تميز القومية العربية قد مضت ، وقدمت إلينا تربية لا يمكن أن تخرج إلا تلك النوعية من الأجيال التي تمارس التبعية الثقافية [45].

5- 1العولمة الثقافية :

يعد البعد الثقافي والاجتماعي للعولمة من أخطر أبعادها ، فهي تعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير ثقافة واحدة وإحلالها محل الثقافات الأخرى مما يعني تلاشي القيم والثقافات القومية ، الأمر الذي ينعكس علي الهوية الثقافية العربية .

وهكذا بات واضحا أن مخاطر العولمة تمس بشكل مباشر ميدان الثقافة والهوية ، بل يمكن أن تتجه نحو صراع الحضارات ، فالسعي إلي فرض هيمنة ثقافة واحدة تكون نتيجته إما انتهاء الثقافة الأضعف و ذوبانها أو تقوقعها حول نفسها ، أو تفجيرها وتفتيتها لصالح جماعات داخلية أو خارجية ، الأمر الذي أدي إلي انقسامات عرقية وطائفية ثم صراع الثقافات في النهاية ، وبالتالي التأثير سلبيا علي الهوية الثقافية للمجتمع العربي [46].

ومن المعلوم أن للقيم جانبين : قيم راسخة و المتمثلة في القيم الدينية والتي تعد ثوابت مميزة لهوية المجتمع العربي والإسلامي وقيم التفاعل الحضاري ، وتتمثل خطورة العولمة في محاولة التأثير في القيم الدينية ، وذلك من خلال نشر الفكر الغربي الذي يعمل على تغيير لكل القيم الثابتة ومحاولة الإقناع أن الذي يتمسك بقيمه إنما يتعارض مع التقدم العلمي والفكري ونهضة العقل ، الأمر الذي أدى إلي تفاقم الشعور بالاغتراب لدى الشباب، ووقوعهم في أزمة حضارية وفي صراع بين ثقافتين متعارضتين في وقت واحد إحداهما خارج النفس والأخرى مدسوسة في ثناياها، لدرجة أن هؤلاء الشباب من شدة تعلقهم بالحضارة الغربية والحلم بالعيش في محيطها صاروا يعانون حالة من الاغتراب الثقافي ، فهم وإن كانوا يعيشون على أرضنا إلا أن وجدانياتهم وعقولهم مهاجرة مغتربة قيميا وفكريا [47].

فالعولمة تستهدف قيم الأصالة والانتماء والعمل علي تذويب الهوية العربية الإسلامية وصهرها بالهوية الغربية ، كما صارت العولمة تتضمن محاولة تعميم نموذج مغاير لمفهوم المواطنة ولمعاني الإحساس به

44_ محمد عابد الجابري : **مسألة الهوية – العروبة والإسلام والغرب** ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1995 ، ص 12.

45_ محمد إبراهيم المنوفي وياسر مصطفي الجندي ، " **التربية وتنمية الهوية الثقافية في ضوء العولمة** "، مجلة كلية التربية بدمياط ، جامعة المنصورة ، ع 43 ، 2003 ، ص : 209 .

والحد من حرية الدول في إتباع سياسات وطنية مستقلة ، وقد عبر " رفيق حبيب " عن هذه الظاهرة بقوله" إن النخب الحاكمة الآن من رجال أعمال ومثقفين وخبراء ورجال بنوك وغيرهم لا تلتحم مع الدولة بل تنافسها وتشاركها ، ومن شأن العولمة الثقافية التأثير في الهوية الثقافية للمجتمع ودعم الإحساس بالتبعية وضعف الولاء والانتماء [48].

كما صارت اللغة العربية تتعرض للتهميش نظرا لطغيان اللغة الإنجليزية وخاصة الإنجليزية الأمريكية حيث " تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية تكنولوجيا المعلومات والاتصال ، فحوالي 65% من مجموع الاتصالات المعالجة إليكترونيا تخرج منها ، وتحكمه اللغة التي تتحدث بها ، فقد أصبحت اللغة الإنجليزية هي لغة الاتصالات العالمية الآن ، وأصبح تعلمها ضرورة لمواكبة العصر .

الأمر الذي أد إلي إهمال اللغة العربية من الشباب وعدم إتقانها ، والتركيز علي الإنجليزية مما دفع إلي ضعف قيم الولاء والانتماء لدى الشباب ، وعدم تمسكهم بهويتهم الثقافية العربية والإسلامية .

6_ الأزمة الثقافية القيمية في الثقافة العربية الإسلامية :

46_ محمد عابد الجابري ، مرجع سبق ذكره ، ص : 23 .

47_ رشدي أحمد طعيمة ، " **الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس**" ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ص 35 .

48_ عبد الرحمان شيبان ، " **الغزو الثقافي بين الحصانة الذاتية و البناء الحضاري**"، ص : 76 .

49_ فوزية دياب ، **" القيم و العادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية "** ، مرجع سبق ذكره ، ص : 76 .

50_ أحمد محمد علي حجازي: " **الثقافة العربية في زمن العولمة**" ، مرجع سبق ذكره ، ص : 88 .

51_عزي عبد الرحمن ، **" دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام "** ، 2011 ، الدار المتوسطية للنشر ، ط1 ، ص : 51 .

52_ عزي عبد الرحمن ، ص : 67 .

« تشكل القيم الوجه الخفي للتجربة الإنسانية ، وهي بذلك ترسم الملامح الأساسية لضمير المجتمع ووجدانه ، وتكمن وظيفتها بالتالي في تشكيل ضمائر أفراد المجتمع و طريقة سلوكهم وهي في هذا السياق تهدف إلى تنظيم السلوك والحفاظ على وحدة الهوية الاجتماعية وتماسكها »[49] .

« فالقيم هي الجانب المعنوي في السلوك الإنساني وهي تشكل السجل العصبي للسلوك الوجداني والثقافي والاجتماعي عند الإنسان، و يمكن القول بان القيم تشكل مضمون الثقافة ومحتواها، والثقافة هي التعبير الحي عن القيم، وهذا يعني أن القيم هي المبتدأ و الخبر في مستوى الفعل الثقافي الإنساني»[50] .

فمنبع القيم الإنسانية هي الثقافة والمجتمع، وهي حقيقة الأساس الضمني لأي نموذج ثقافي، إذ تحتوي معايير للسلوك أو التصرفات، والأفراد في المجتمع يتبنون هذه القيم بدرجات متباينة، « والقيمة ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين »[51] .

فالفرد يتخذ هذه القيم كمعايير في حياته الاجتماعية حيث أن « هذه القيم يفترض أن يكون لها قوة وتأثير على من هي موجهة إليهم بحيث تنتقل هذه القيم من حيز الاقتناع إلى مجال التطبيق والتنفيذ، فمعرفة

هذه القيم وربما الاقتناع بها لا يكفي وحده وإنما لا بد من العمل بها على المستويات الشخصية والعامة» ، ويبقى أن المصدر الأول والوحيد في مجتمعاتنا العربية الإسلامية هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الدين عموما.[52]

و لكن حديثنا هنا متعلق بالأزمة القيمية في الثقافة العربية ، على اعتبار كما تقدم سابقاً، أن القيم تشكل مضمون الثقافة و محتواها ، و ينطلق تحليل أزمة القيم من مبدأ أن القيم تشكل مضمون الثقافة والعناصر الثقافية مثل الاتجاهات والعادات و السلوك و العقائد، هي طبقات الوجود الثقافي .

من خلال ذلك يمكن أن نقول أنه « عندما تتوازن قيمتان عند الفرد أو الجماعة فإن ذلك يؤدي إلى صراعات عنيفة يعبر عنها بالأزمة، و عندما يوجد الفرد في موقف يجهل القيمة المناسبة له، فان ذلك يؤدي إلى أزمة و عندما يتبنى المرء نظامين مختلفين من القيم فان ذلك يؤدي إلى أزمة قيمية و تتصدع البنية النفسية عندما يتعرض لتناقضات قيمية و يقع فريسة الذهانات و الانفصامات النفسية...، تتصدع البنية الثقافية عندما تدور روح الصراعات الثقافية بين قيم ثقافية متضاربة أيضا تدور روح الصراعات الثقافية بين قيم ثقافية متضاربة وذلك يؤدي إلى ما يسمى بالتصدع الثقافي والانهيارات الثقافية عند الفرد والجماعة، وهذا ما يعبر عنه بأزمة الهوية الثقافية »[53]، وفي هذا العصر الذي نعيشه اليوم وفي مجتمعنا العربي والمحلي خاصة يعيش الفرد أزمة ثقافية قيمية، تضرب هويته وانتماؤه، وتعود إلى أسباب خارجية من طرف الثقافة الغربية ، التي دفعت بأفكارها إلينا ذلك أن « مجتمعنا الإسلامي بدلا من أن يرقب مسيرة الحضارة بروح المنهج التي تترك الأسباب والمسببات إذا به وهو في عالم ثقافي مشحون بالأفكار التي تدفقت فعاليتها يستعين بأفكار بدأت تقتل مجتمعها الذي ولدت فيه وتهدد بسقوطه » [54]، وهذا على حد تعبير المفكر مالك بن نبي ، وهذه الأفكار أكيد أنها تؤثر في القيم لدى أفراد مجتمعنا والأزمة القيمية لدى الفرد أدت إلى تمزقه بين عالمين ثقافة تقليدية ، وثقافة حديثة أشعرت الفرد بالتناقض في مجتمعه وبالتالي صراع بين قيم لعناصر ثقافية قديمة وأخرى جديدة، الأمر الذي جعل مجتمعنا يعاني من التغريب و الاغتراب الثقافي، « والاغتراب نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان صراع قيم متضاربة » [55].

ويمكن أن نعبر عن إشكالية الأزمة القيمية والثقافية في [56]:

- تعاني الثقافة العربية أزمة قيم تتمثل في الإنشطارات الثقافية المتواصلة ، وتعود هذه الأزمة إلى صراعات قيمية بين قيم الماضي والحاضر، بين قيم الثقافة التقليدية وقيم الثقافات المعاصرة ، وتعود هذه الأزمة في أكثر صورها وضوحا إلى عدم قدرة الثقافة العربية على احتواء القيم الجديدة .
- تعاني الثقافة العربية هجمة تحديات ثقافية ذات طابع إعلامي تستهدف قيم الوجود والأصالة والانتماء من حيث المبدأ، وتستهدف تذويب الثقافة وصهرها واغتيالها .

- يعاني الإنسان العربي تحت إكراهات هذه الأزمة القيمية حالات اغتراب ثقافية اجتماعية وسيكولوجية، حالة من فقدان الإحساس بالانتماء إلى المستوى الثقافي، وحالة من الضياع على المستوى العلاقات الاجتماعية.

7_ الشباب والهوية، جدلية القبول والرفض:

إن مرحلة الشباب تعرف بناء نفسي و فكري وهي مرحلة تتصف بالتمرد وحب التطرف و الفضول والإطلاع و تتصف أيضا بالبحث عن الترفيه والمتعة والابتعاد عن الصرامة، و هي الأكثر حبا وميلا لكل جديد، « ويتسم الشباب بالحيوية والخفة والنشاط، و النزعة نحو التجديد بالبحث عن كل جديد والازدراء بالقديم لتلبية الدوافع وإشباع الفضول ، أو التطلع بمواصفات نحو مجتمع بمواصفات ومقومات أفضل»[57].

53_ فتحي الويشي، "**حوار الحضارات، إشكالية التصادم و آفاق الحوار**" ، ط1، مكتبة المنار الإسلامية، د م، 2001، ص : 94 .

54_ عبد الرحمان شيبان ، " **الغزو الثقافي بين الحصانة الذاتية و البناء الحضاري**" ، ص : 65 .

55_ منال درويش : "**زمن الضياع و فقدان الهوية**" على الموقع: .http//www.ofouq. com .

56_ علي حرب، "**حديث النهايات، فتوحات العولمة و مآزق الهوية**" ، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص 17، 18.

والشباب في البلدان العربية عامة وفي مجتمعاتنا يعيش أزمة هوية ، وبعد عن الانتماء، حيث تعد فئة الشباب من أكثر الفئات التي تتنوع استجاباتها اتجاه مكونات الهوية ما بين القبول ورفض، كما أنها أكثر الفئات تأثرا بالتحديات التي تواجه الهوية، عبر موجات وهجمات التغيير الثقافي المتتالية وذلك بحكم ما تتميز به مرحلة الشباب من ديناميكية وقدرة عالية على الحركة ، والتفاعل مع بعضهم البعض ومع غيرهم من الأجيال والأخرى ، وكذلك مع المؤسسات والنظم والقواعد العامة السائدة في المجتمع [58] .

« إن وضعية الشباب في أي مجتمع هي مقياس درجة التطور والرقي، والتدهور، والانحطاط، ومن أراد معرفة مستوى رقي واستقرار مجتمع ما فلينظر إلى مستوى شبابه التعليمي والعلمي والسلوكي وحسه المدني والوطني، ومدى تعلقه بأصالة حضارته، ومكوناتها الثقافية والروحية والقيمية » [59].

وكلنا يلحظ ما يحدث من صراع هويات لدى الشباب الذي أصبح يعيش بين قابل في أحيان قليلة ورافض في كثير منها لتواثبه، ويظهر ذلك جليا في الآفات الاجتماعية، والتفكك الاجتماعي والثقافي في المجتمع.

وإذا كنا قد تقدمنا فيما سبق بالحديث عن أزمة القيم في الثقافة العربية ، لان ذلك هو أساس أزمة الهوية لدى الشباب في مجتمعنا على اعتبار « أن الهوية هو الشعور الواضح بالانتماء وقبول هذا الانتماء بمعنى إيجابي ومن هنا يمكن أن نقول أن الصراعات القيمية تؤدي إلى أزمة هوية و وجود، لأن التكامل

و

الانسجام في مستوى النسق القيمي يشكل منطق وحدة الهوية » [60] .

7[5]_ فوزية دياب ، **" القيم و العادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية "** ، مرجع سبق ذكره ، ص : 76 .
58_ باسم علي خريسان ، **" العولمة والتحدي الثقافي "** ، دار الفكر العربي للطباعة ، بيروت ، 2001 ، ص : 42 .
59_ عبد الحمن شيبان ، مرجع سبق ذكره ، ص : 95 .

و أصل هذه الجدلية هو صراع لدى الشباب في أعلى سلم للثقافة ، هو القيم والانتماء بالإضافة إلى صراع القيم يكون بين قيم المجتمع المتقدم ، والقيم التقليدية السائدة في مجتمعنا الأم الذي يؤدي إلى حالة من التذبذب في الانتماء الثقافي .

ويمكن القول أننا « أمام فئات ثلاث من الشباب ذوي استجابات مختلفة، الفئة الأولى هي الفئة الأكثر ارتباطا بهويتها وعلى الخصوص الجزء الصلب أو القلب من الهوية، وهو القيم الدينية الأخلاقية وهؤلاء يشعرون بأن هويتهم في خطر شديد ، وأن الحل الوحيد هو السعي لحماية هذه الهوية بأي وسيلة والمشكلة الأكبر أن هذه الفئة من الأصل كانت تعاني من أزمة هوية وطنية، فالهوية عندها لم ترتبط بوطن بقدر ما ارتبطت بدين...، أما الاستجابة الثانية فهي استجابة متطرفة وترتبط في الغالب بفئات الشباب الذين يعانون من الحرمان، وفي نفس الوقت يقعون تحت وطأة ثقافة الاستهلاك بشدة مما يجعلهم يبحثون عن الوسائل التي تشبع احتياجاتهم سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، كما يشعرون بالنقمة على الدولة والمجتمع، الذين تسببا في حرمانهم من أدنى حقوقهم...، أما الفئة الثالثة وهي الفئة المتغربة من الأصل، والتي تعيش على أراضي أوطانها على المستوى المادي ولكنها بمشاعرها وميولها وثقافتها تعيش في مجتمعات أخرى، فهذه الفئة وهي شريحة قليلة من الشباب ميسورة الحال بدرجة كبيرة تعاني من أزمة هوية مواطنة عن الأصل بحكم عدم رضاها عن واقع مجتمعاتها وعدم تقبلها للقيم السائدة في هذه المجتمعات»[61] .

وأصل أزمة الهوية في مجتمعنا هو تلاقي الثقافات، تكون في نظر الشباب خاصة في مجتمعنا أنها ثقافة عصرية بالمقارنة مع قيم وثقافتهم التقليدية وبذلك « يتحقق الاغتراب الذي هو تعبير عن عدم الرضا و عن الرفض للمجتمع وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان »[62] أي أن هذه الأزمة خلقت ما يسمى بالاغتراب الثقافي و التغريب، ولكن لا يمكننا أن نعمم هذا، ذلك أنه « أثبتت الأحداث والدراسات

الميدانية أن قطاعات واسعة من الشباب العرب ، قد توحي مظاهرهم وخطاباتهم بأن حسهم الوطني قد توقف أو انحرف، لكن عندما تمر أوطانهم وأمتهم بهزة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو حتى مناخية

ترى الكثير منهم ينفض غبار الغربة، ويرفع الأقنعة الزائفة، ويكشف عن حالة وجدانية فياضة، ويبدي استعدادا مفاجئا للتفاعل الثقافي والاجتماعي بل إن بعضهم يتجاوز لغة الاحتجاج ليبدي رغبة صادقة وعميقة في الحراك الاجتماعي [63].

ولكن رغم ذلك هناك أزمة هوية يعاني منها الشباب و هي متأصلة في مجتمعنا خاصة مع هذه القيم والثقافات الوافدة من مجتمعات أكثر تقدما ، ومع ما تعانيه مجتمعاتنا من ضعف وتخلف على كافة الأصعدة أمام هذه النماذج الحضارية الأخرى المقدمة له، ما يؤدي إلى استهلاك قيم وثقافة هذه المجتمعات والذي أصبح رمزا من رموز المكانة الاجتماعية، وهذا ما يؤدي إلى البحث عن كل ما هو أجنبي ، الأمر الذي يؤدي إلى تحولات في بنية الهوية والثقافة.

8_التصور الخصوصي للهوية الثقافية الجزائرية:

« الحديث عن الخصوصية الثقافية، شأنها شأن الخصوصية الحضارية ليس غريبا، أو بعيدا عن الحقيقة فالخصوصية هذه ترافق الشعوب و الأمم و الجماعات البشرية، على الرغم ما بلغته الإنسانية من تفاعل و تشابك في المصالح و العلاقات » [64].

60_ عبد الودود مكروم ، " **قيم هوية وثقافة –الإنماء** _" ، مرجع سبق ذكره ، ص : 87 .

61_ ملك بن نبي،" **شروط النهضة**" ، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1957، ص 38.

62_ علي وطفة ،" **الثقافة و أزمة القيم في الوطن العربي**" ، مرجع سبق ذكره ، ص 45 .

« و تعني خصوصية الثقافة بالضبط، حميمية الإنسان و المجتمع المنتج و القيمة الذاتية للإنتاج الفكري و الاجتماعي و نوعية الحياة المعاشة، و بالخصوصية الثقافية يكتسب كل مجتمع إنساني حقه المشروع في أن يكون مختلفا »[64]، فمصطلح الخصوصية الثقافية لمجتمع ما يشير إلى الاختلاف عن الآخر، و يشير إلا سيادة ثقافية لهذا المجتمع، و كل مجتمع له حقه المشروع في ممارسة و أداء و تأكيد هذه الخصوصية و هذا ما يندرج بالضرورة في التعددية الثقافية.

و بالعودة إلى الخصوصية الثقافية الجزائرية نجد الأستاذ الدكتور عبد الله بوجلال يعرفها تعريفا إجرائيا على أنها « العناصر الثقافية المادية و الروحية و القيمية و الحياتية الموروثة و المكتسبة ، و التي تقوم بوظائف ايجابية في حفظ التماسك الاجتماعي و الأسري، و ضبط و توجيه سلوك الأفراد و العلاقات الاجتماعية و الإنتاجية ، و تحدد تصورات و أهداف أبناء الشعب الجزائري الحضارية و التنموية حاضرا مستقبلا»[65].

فمجتمعنا الذي نحيا فيه يمتلك انفرادا في هويته الثقافية ، بل يكاد الأمر يكون أبعد من ذلك في المجتمع الواحد، إذ « يشتمل كل مجتمع على تقسيمات فرعية داخلة، و تزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت و زادت درجة التخصص بين أعضائه، و تتميز كل جماعة بنظم و عناصر ثقافية خاصة بها و لا توجد في كثير من الأحيان عند غيرها » [66].

63_ سعيد عبد الغني أمين،" **الثقافة العربية و الفضائيات**"، رؤية إعلامية من منظورالتحليل الثقافي، ط1، اتيراك للنشر،ص: 23 .
64_ عبد الودود مكروم ، مرجع سبق ذكره ، ص : 89 .
65_ السيد عثمان فاروق، " **سيكولوجية العولمة**" ، دار الأمين ، القاهرة، 2006 ، ص : 87 .

66_ السيد عثمان فاروق ، مرجع سبق ذكره ، ص : 65 .
67_نصير بوعلي ،**" مجلة الدراسات الاعلامية القمية المعاصرة** " ، دورية أكاديمية حضارية محكمة ، دار الورسم ، العدد 2 ، 2012 ، ص26 .
68_ طويل غادة،" **الثقافة العربية جذور و تحديات**" ، كيبي كوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007 ، ص : 34 .7
69_ عبد الودود مكروم ، " **قيم هوية وثقافة –الإنماء _**" ، مرجع سبق ذكره ، ص : 76 .

« و المتتبع لواقع الثقافة الجزائرية، يلاحظ أنها ذات أبعاد مختلفة، و هي عربية إسلامية أمازيغية متوسطية افريقية عالمية »[67]، فالحقيقة القائمة و الشاخصة أمامنا أن المجتمع الجزائري يمتلك خصوصية في هويته الثقافية تميزه عن الآخر من جهة ، و متنوع في هويته الثقافية داخليا في إطار وحدة متماسكة و متكاملة.

و هذا الأمر لا ينفي مفهوم الأمة الواحدة، أي لا ينفي اشتراك المجتمع الجزائري كمجتمع عربي مسلم مع باقي الدول العربية ، اشتراك في الدين و اللغة...الخ ، و نحن إذ ننظر إلى هذه الخصوصية من جانب النظرة الواسعة لها، أي هوية عربية إسلامية و لا ينبغي أن يفهم من ذلك إقصاء للتنوع الثقافي داخل مجتمعنا الواحد، و منه فالهوية الثقافية الجزائرية تشترك مع باقي الدول العربية، في أنها عربية إسلامية و في أنها كذلك تمتلك عناصر ثقافية محلية تجمع أبناء الشعب الجزائري.

إننا إذ نطرح هذه القضية فانه من منطلق أن « الدولة القومية هي فقط التي لها السيادة على ثقافتها و بالتالي أي تدخل خارجي يمس خصوصيتها الثقافية هو اختراق لسيادة الدولة عموما و لسيادتها الثقافية خصوصا »[68]، و أي دولة لا تسمح بطبيعة الحال مثل هذا الاعتداء عليها في ظل الحديث عن العولمة.

و الجزائر كغيرها من البلدان العربية تؤثر فيها العولمة، تأثيرا على خصوصيتها و هويتها الثقافية و يتجلى ذلك في أن ثقافة العولمة تسعى « إلى إضعاف مكانة و أهمية العقيدة الإسلامية و دورها الحضاري، و قيمها الثقافية و الأخلاقية في تدعيم الوحدة الوطنية من المؤثرات الثقافية و الإيديولوجية الأجنبية السلبية، و تسعى ثقافة العولمة في هذا الإطار إلى تعميم الفهم الخاطئ للدين الإسلامي، ووظائفه الحياتية و الاجتماعية و قصره في الشعائر الدينية ، و إبعاده عن المجالات الاقتصادية و

السياسية و التنظيمية للمجتمع »[69]، بالإضافة إلى التأثير على الأسرة و على المنظومة التربوية و كذا بث التفرقة الاثنية و الجهوية...الخ.

و مجتمعاتنا العربية عامة و الجزائر خاصة ، و من خلال هذه الوسائل كالأقمار الصناعية والقنوات

التلفزيونية تأثرت بالثقافة الغربية، و اعتبرت هذه الثقافة نموذجا عالميا و شكلا من أشكال التقدم و منه لابد من طرح مثل هذه القضايا كرد فعل للهويات و الثقافات المحلية تجسيداً لمفهوم الأمن الثقافي.

فحديثنا هنا عن خصوصية الهوية الثقافية يعني « الخصوصية الذاتية و التفرد بصفات و خصائص معينة تعكس هذه الخصوصية و تميّز المجتمعات من بعضها، ففي ظل اتجاه المجتمعات نحو العالمية نجد أن هناك توجها شديدا نحو تحديد الهوية، و بينما تتحول حياة الفرد إلى العالمية، نجد أن الفرد نفسه يحاول أن يؤكد هويته و شخصيته المميزة، و بالتالي أن الهوية تظهر في كل مكان و تؤكد محورها في كل المجتمعات التي أصبحت منقسمة إلى مجموعات متعددة » [70].

9 – الهوية الثقافية و العولمة و أزمة الاختراق الثقافي:

تطرح قضية الهوية الثقافية نفسها في ظل تحولات العولمة ، و التي تثير أزمة اختراق الثقافة ، و النظر إلى هذه الأخيرة يكون من منطلق أنها « ظاهرة تتعرض لها مختلف الثقافات الوطنية بما في ذلك ثقافات أوربا، ناهيك ثقافات البلدان الواقعة تحت نفوذ الغرب و هيمنته ، بلدان عالم الجنوب ، و من بينها دول العالم العربي الإسلامي »[71] .

« و يعني مفهوم الاختراق الثقافي مجموعة من الأنشطة الثقافية و الفكرية و الإعلامية التي توجهها جهة أو عدة جهات نحو مجتمعات و شعوب معينة ، بهدف تكوين أنساق من الاتجاهات السلوكية و العلمية،

أو أنماط و أساليب من التفكير و الرؤى لدى تلك المجتمعات و الشعوب بما يخدم مصالح و أهداف الجهة أو الجهات التي تمارس عملية الاختراق هذه بمضمونها الثقافي و الحضاري» [72].

و بالتالي اختراق الثقافة هو سلب للخصوصية ، وهو فعل اعتداء على الآخر « و هي تتجلى في صياغة ثقافة عالمية لها قيم و معايير و سلوك و عادات مختلفة ، و سيطرة ثقافية غربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلوم و التقدم التكنولوجي في مجال ثورة الاتصالات و ثورة المعلومات»[73].

و يمكن أن نقول أن الاختراق الثقافي يستهدف اختراق الهوية الحضارية للأمم و الشعوب، من خلال اختراق القنوات الفضائية لهوية الشعوب الثقافية و منظومات التفكير و التمثلات ، منظومات القيم و منظومات التعبير و منظومات السلوك.

و بشكل عام يتضمن مفهوم الاختراق الثقافي الأبعاد التالية[74] .

- تبعية ثقافة الدولة المستقبلة لثقافة الدولة الباثة، و اعتمادها عليها اعتماد بنيويا في إنتاج القيم و المعاني و الأفكار و المعارف التي تحتاج إليها سواء أكان ذلك بسبب تفوق ثقافات الدولة المخترقة و قدراتها، أم بسبب انعدام الثقة في النفس لدى الثقافات المستقبلة.

70_ علي حرب ، "**حديث النهايات، فتوحات العولمة و مآزق الهوية**"، مرجع سبق ذكره، ص 17، 18.

71_ محمد سعيد طالب ، " **الدولة والبحث عن الهوية** " ، مرجع سبق ذكره ، ص : 98 .

72_– عبد الغني عماد ، "**سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم و الإشكاليات...من الحداثة إلى العولمة** "، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006 ، ص 320.

73_ أحمد محمد علي حجازي: " **الثقافة العربية في زمن العولمة** ، مرجع سبق ذكره ، ص : 342 .

74_ فتحي الويشي، "**حوار الحضارات، إشكالية التصادم و آفاق الحوار**" ، مرجع سبق ذكره ،ص : 98.

75_ عبد الرحمان شيبان ، " **الغزو الثقافي بين الحصانة الذاتية و البناء الحضاري** ، مرجع سبق ذكره ، ص : 86 .

76_ باسم علي خريسان ، " **العولمة و التحدي الثقافي**" ، مرجع سبق ذكره ،ص : 102 .

- وضع العقبات أمام الجهود التي تبذلها الدول النامية لتثبيت دعائم استقلالها الثقافي و ضمان سيادتها.
- تعطيل الإرادة الوطنية للدولة التابعة ثقافيا، و فقدان سيطرتها على إعادة تكوين ذاتها و تجددها.

و« يمثل التحالف بين الثقافة و الهوية ذروة القدرات التي تقدمها العولمة في الحقل الثقافي، فهي تمكنت فعليا من اختراق الحدود الثقافية انطلاقا من مراكز صناعة و ترويج النماذج الثقافية ذات الطابع الغربي و ألغت بالتالي إمكانيات التثاقف كخيار يعني الانفتاح الطوعي للمنظومات الثقافية المختلفة عبر آليات التأثر و التأثير، و التفاعل المتبادل ومست الكثير من مكونات الهوية » [75].

و عليه فان الاختراق الثقافي « قد اقترن بالتطور في مجال الاتصالات و المعلومات، حيث وجدت الدولة المالكة للقنوات الفضائية و المحتكرة للإعلام نفسها اليوم أكثر قدرة على التأثير ثقافيا على الدول الأخرى» [76] .

و إيديولوجيا الاختراق الثقافي تقوم على نشر و تكريس جملة من الأوهام و يمكن حصرها في الأوهام الخمسة التالية :

وهم الفردية: أي اعتقاد الفرد أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته و أن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه إنما يعمل هذا الوهم على تخريب و تمزيق الرابطة الجماعية التي تجعل الفرد يعي أن وجوده إنما يكمن في كونه عضوا في جماعة و في طبقة و أمة، و بالتالي فوهم الفردية هذا يهدف إلى إلغاء الهوية الجمعوية

و الطبقية و الوطنية و القومية، و كل إطار جماعي آخر ليبقى الإطار العالمي بل العولمي هو وحده الموجود.

وهم الخيار الشخصي: فواضح أنه يرتبط بالأول و يكمله، إنه باسم الحرية يكرس النزعة الأنانية و يعمل على طمس الروح الجماعية .

وهم الحياد: ليدفع بالأمور خطوة أخرى في الاتجاه نفسه، فمادام الفرد وحده الموجود و ما دام حر فهو محايد، و كل الناس و الأشياء إزاءه محايدون، أو يجب أن يكونوا كذلك، و هكذا تعمل هذه الايدولوجيا من خلال وهم الحياد على تكريس التحلل من كل التزام و ارتباط بأية قضية.

الاعتقاد في الطبيعة البشرية التي لا تتغير: فواضح أنه يرمي إلى صرف النظر عن رؤية الفوارق بين الأغنياء و الفقراء، بين البيض و السود، بين المستغلين و بين من هم ضحايا الاستغلال و قبولها بوصفها أمورا طبيعية، و بالتالي شل روح المقاومة في الفرد و الجماعة.

الاعتقاد في غياب الصراع الاجتماعي: هو التتويج الصريح للأوهام السابقة، غياب الصراع الاجتماعي معناه إذا قبلناه و سلمنا به الاستسلام للجهات المستغلة، من شركات و وكالات و غيرها من أدوات العولمة، و بعبارة أخرى التطبيع مع الهيمنة و الاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري.

مع التطبيع مع الهيمنة و الاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري يأتي فقدان الشعور بالانتماء للوطن، أو أمة أو دولة، و بالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى [77].

و الوطن العربي بهويته العربية الإسلامية يعيش حالة من تغلغل لتأثيرات سلبية للعولمة الإعلامية و الثقافية، خاصة في حالتنا هذه أي شبكة الانترنيت، ذلك أن « تدفق الرسائل الإعلامية و الثقافية المعولمة من المراكز الرأسمالية بكل قوتها و عنفوانها و قدراتها تصب في دول الأطراف كمجتمعات العالم الثالث، و التي تصبح في الواقع مجرد مستقبلة لهذه الرسائل الإعلامية و الثقافية بكل ما فيها من قيم،

بعضها يعتبر في نظر هذه المجتمعات قيما سلبية و أحيانا مدمرة، و هي في جميع الحالات تحمل أخطار الغزو الثقافي مما يهدد الخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات»[78] .

« و نجد انياسيو رامونيه، رئيس تحرير جريدة لومند ديبلوماتيك (le monde diplomatique) يعتبر العولمة سيطرة الفكر الأحادي و هدم البناء الاجتماعي و تدمير الإبداع الثقافي، في محاولة لتسليع الأفكار و الأجساد و الأشياء، إذا كانت تقنيات الاتصال و تكنولوجيا المعلومات تغير علاقتنا بالهوية الثقافية و المعرفة و التربية فالأجدى إعادة النظر في شبكة المفاهيم التي نستخدمها في قراءة العالم و فهم الواقع»[79].

77_ **حسن عبد الله العابد** ، مرجع سبق ذكره، ص 103، 104.

78_ علي حرب ، "**حديث النهايات، فتوحات العولمة و مآزق الهوية**" ، ص : 18 .

79_ الشريف سامي، " **قضايا الإعلام الدولي**" ، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007 ، ص : 34 .

خــاتمة :

يعتبر " ماريل " أن الهيمنة الثقافية التي يفرضها الطرف الآخر تقع ضمن حلقة سياسية مفادها أن هناك محاولة من الغرب لفرض نمط معين من الحياة على مجتمعات العالم الثالث ، هذه المحاولة تتم من خلال أشكال عدة مثل الإشهار والموسيقى والمسلسلات والأفلام ، لذلك فان المجتمعات الأكثر تقدما تكنولوجيا هي التي تفرض نفسها ثقافيا ، هذه الوضعية من شانها إضعاف الثقافات المحلية بتبني ثقافات جديدة .

فمضامين القنوات الفضائية تستوردها دول العالم الثالث تنتج في محيط اجتماعي خاص وتحمل في طياتها تصورات ومفاهيم الدول الغربية ، ولا يمكننا الجزم بصفة نهائية على تأثير القنوات الفردية على الهوية الثقافية العربية فالدراسات تبقى نسبية وهل هذا التأثير تحققه وسائل الإعلام أم تتدخل عوامل خارجية أخرى .

تمهيد :

شهد البثّ الفضائي العربي في السنوات الأخيرة تزايداً ملحوظاً في عدد القنوات الفضائية وخصوصاً في مجال القطاع الخاص، وهذا يدلّ على وجود متغيّرات كثيرة ومتداخلة ساهمت إلى حد كبير في هذا التحول والتطور، منها ما حدث ويحدث حالياً من حراك اجتماعي وسياسي في العديد من الأقطار العربية

وفوق ذلك ، فإن القنوات الفضائية سواء العربية منها أو الأجنبية في حقيقة الأمر، ما هي إلا إرسال تلفزيوني عبر الأقمار الصناعية العربية والأجنبية ، ولا يجب إنكار القنوات الفضائية كأداة إعلامية تعليمية، وتربوية، وإخبارية، وهي كذلك فرصة لنظام تعليمي متطور وسريع وشامل يساعد على إيجاد جو تنموي فعال ، فالقنوات الفضائية هي وسيلة تربوية متى أحسن استخدامها تجذب إليها ملايين البشر بحكم خصائصها الذاتية شديدة الوقع والتأثير، وكثير منها مهيأ لتقديم خدمات تعليمية ،وتربوية، وثقافية، وإعلامية، واسعة، ومن ثم ليس من الحكمة رفضها والإعراض عنها كوسيلة للترفيه عن المشاهدين .

1_وسائل الإعلام و التغير الثقافي و الاجتماعي:

« التعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية و الثقافية و الطبيعية يقوم على قاعدة التفاعل المستمر، و يلاحظ أن بعض هذه العلاقات تفرضها عليه ثقافته، في المقابل يفرض الإنسان ثقافته على بعض عناصر هذه البيئة، و من خلال هذا التفاعل يحدث التغيير، و هناك العديد من العوامل المسببة للتغيير الثقافي و الاجتماعي بعضها خارجة عن دائرة الفعل الإنساني، مثل العوامل الطبيعية و البيولوجية و عوامل أخرى ناتجة عن النشاط الإنساني مثل المعطيات التكنولوجية و الثقافية و غيرها »[1] و بالتالي نحاول هنا أن نقف عند وسائل الإعلام كمعطى تكنولوجي نتج عن نشاط الإنسان و إبراز كيف أدى ذلك إلى التغير الثقافي و الاجتماعي في المجتمع.

يعتبر هذا المفهوم حديثا نسبيا*، و لا يمكننا أن نعزل هذا التغير عن البيئة المحيطة به، من تطور و تقدم في المجتمعات و من خلال هذا الأخير يمكن تفسير هذه العملية المتعلقة بالتغيير، و التي تعتبر عملية ديناميكية، حيث نجد أن التغيير الثقافي يحدث في بوتقة المجتمع و لا يمكن له أن يحدث خارج

[1] – عبد الغني عماد،" **سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم و الإشكالات من الحداثة إلى العولمة**"، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

* – منذ أن وضع وليم أوغبرن (william ogbern) كتابه المعروف التغير الاجتماعي (social change) عام 1922، اتخذت الدراسات في هذا النوع الموضوع منهجا علميا، و تتابعت بعد ذلك بشكل ملحوظ ، أنظر: .

البناء الاجتماعي، و يمكن أن نعتبر أن « التغير الثقافي تغيراً اجتماعيا، كما يمكن رد التغيرات الاجتماعية في معظمها إلى تغيرات ثقافية» ، و يمكن اعتبار أن « كل ما هو تغير اجتماعي يعد تغيرا ثقافيا، و ليست جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي»[2]

و بالعودة إلى العوامل التكنولوجية المؤثرة في حدوث هذا التغير فانه « مما لا شك فيه أن لثورة الاتصال و المعلومات آثار مهمة على عملية التغير الاجتماعي في العالم العربي، كما أن وسائل الإعلام و الاتصال تعد آلية مهمة من آليات التغير الاجتماعي»[3]، بالإضافة إلى ذلك فان « وسائل الإعلام أهم أدوات التغيير الثقافي من خلال تصديرها السلع الثقافية الغربية سواء كانت قيماً أو طرق حياة أو أنماط استهلاك مما يجبر الثقافات الأخرى على الخضوع»[4].

فالعوامل التكنولوجية و هذه المخترعات التي تشهدها البشرية اليوم و لعل أبرزها شبكة الانترنيت، ذات صلة وثيقة بما يحدث من عمليات تغير في المجتمعات بوجه عام، فكما أحدثت الثورة الصناعية تغيرات مختلفة في المجتمعات، فان الثورة المعلوماتية اليوم تحدث تغيرا أيضا في الجوانب الثقافية و الاجتماعية و الحقيقة المؤكدة أن التغير التكنولوجي و تطور وسائل الاتصال و تقنياتها ، يصاحبه تغير اجتماعي و ثقافي و لو على المدى البعيد، بل هناك دراسات أكدت أن التغير الذي يطرأ في الجانب المادي للثقافة يكون سابقا دائما للتغير في الجانب اللامادي لها، و الحقيقة الأخرى المطروحة هنا « أن التكنولوجيا تعد عنصرا أساسيا في النسق الاجتماعي، لكن النظر إليها على أنها أساس المجتمع و أساس عملية التغير الاجتماعي ينقلها إلى دائرة الحتمية، و هذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر في تفسير التغير»[5] .

---

[2] – عبد الغني عماد: مرجع سبق ذكره، ص 193.

[3] – موسى شيوي: **مساهمة وسائل الإعلام في إحداث التغير الاجتماعي**، الإعلام العربي في عصر المعلومات، ط1، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتجية، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص 128.

[4] – هويدا عدلي ، " **الشباب والهوية والعولمة ، جدليات القبول والرفض**" ، مرجع سبق ذكره، ص 18.

[5] – علي حرب، "**حديث النهايات، فتوحات العولمة و مآزق الهوية**" ، مرجع سبق ذكره ، ص : 56 .

و لكن بالمقابل مع ذلك، هناك افتراض و طرح لتأثير الميديا على المجتمعات « فعلى حد تعبير أحد كبار علماء الاتصال مثل ماكويل : الميديا تستخدم لقمع المجتمعات لتوحيدها و أيضا لتمزيقها، تشجع على التغيير و أيضا تعرقله »[6].

« و إذا جاز أن نعتبر العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة قبل ظهور وسائل الإعلام الحديثة كانت علاقة دائرية تسمح لجميع أعضاء الأسرة بالالتقاء و الالتفاف حول رب البيت، ثم تطورت العلاقة و انفتحت الدائرة ليوضع مكان رب البيت جهاز التليفزيون ليلتف حوله الأسرة»[7]، و الذي حدث بعد ذلك أن المجتمع تقبل هذا الوضع الجديد.

إن طرح علاقة وسائل الاتصال بالتغير الاجتماعي و الثقافي أمر لابد منه، و هو حقيقة علمية قائمة، و هذا التغير ليس سلبيا في مجمله، و إنما يحمل إمكانية التقدم أو التخلف.

2_ وسائل الاعلام و أثرها في الثقافة:

« ظل دور وسائل الإعلام قضية محورية في سياق الجدل الدائر حول سبل حماية الهوية الثقافية لوقت طويل، و مازلنا حتى الآن مشغولين بالتصدي لعملية التآكل الثقافي»[8].

و زاد طرح هذه القضية اليوم أكثر من أي وقت مضى، حيث « أدت ثورة المعلومات و ما نجم عنها من توسع فرص حصول الأفراد على المعلومات، إلى تهديد الثقافات القومية و المحلية بطرق عديدة، فهي قد تؤدي إلى التخلي عن القيم و الأعراف التقليدية»[9]، و الأمر يطرح نفسه أكثر « إذا جاءت منتجات

---

[6] – هويدا عدلي، مرجع سبق ذكره ، ص 18.

[7] – منال أبو الحسن ، " **أساسيات علم الاجتماع الإعلامي**،" دار النشر للجامعات، مصر، 2006، ص 161.

[8] – مصطفى محمودي، " **العالم العربي و عصر المعلومات (الآفاق و التحديات)**" ، ثورة المعلومات و الاتصالات و تأثيرها في المجتمع و الدولة و العالم العربي، ط1، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 1998، ص 169.

[9] – عبير محمد عاطف الغندور، " **تأثيرات الثورة التقنية على سيادة الدولة القومية**"، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد 20، جامعة عين شمس، مصر، مارس 2007، ص 405.

تكنولوجيا الاتصال من الجانب الذي يملك هذه التكنولوجيا في اتجاه الجانب الذي يكتفي باستهلاك هذه المنتجات»[10].

و في معرض حديثه عن تأثير وسائل الاعلام في الثقافة، استعرض الأستاذ عزي عبد الرحمان الجوانب الايجابية و السلبية لهذه التأثيرات، معتبرا أن دراسة التأثير لا يكون دون ربط محتويات و مضامين هذه الوسائل بالقيم، و قد حدد جملة من التأثيرات الايجابية و السلبية لوسائل الاتصال ، و هو منظور جامع لمختلف التأثيرات، و هي كما يلي:[11]

2_1 التأثيرات الايجابيـة:

– **تعزيز القيم:** يرتبط التعزيز بتثبيت مواقف الفرد السابقة ألفة إضافية، و يلعب تعبير "التعزيز" دورا أساسيا في فهم تأثيرات وسائل الاعلام في المجتمع، و قد عالج لازرسفيلد هذا الموضوع في دراساته الميدانية، و أشار في مقولته المعروفة إلى أن وسائل الإعلام لا تغير أراء الناس و مواقفهم بقدر ما تعمل على تدعيم هذه الأخيرة، و ارتبط هذا الطرح بافتراض أن العامل الاجتماعي (العلاقات الاجتماعية) أساس تكوين الآراء و المواقف و أن الإعلام ينبني على ذلك و يعزز ما أنتجته العلاقات الاجتماعية.

– **التنشئة الاجتماعية:** يقصد بالتنشئة الاجتماعية الصيرورة التي يتم من خلالها اكتساب قيم المجتمع و ثقافته، و تعتبر وسائل الاتصال مؤسسات اجتماعية تقدم أحزمة ثقافية محلية أو وافده، فهذا الناقل أو المحول يساهم في "جتمعة " الفرد و إحداث الألفة مع المحيط، و يعتبر علماء الاجتماع أن وسائل الاتصال هي أدوات التنشئة الاجتماعية.

---

[10] – محمد الجمال راسم ، "**الاتصال و الإعلام في العالم العربي في عصر العولمة**"، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص: 87 .

[11] – عزي عبد الرحمان: **عولمة المكان المركزي و تفكك العلاقة القيمية و التاريخية مع الأرض في المنطقة العربية**، مجلة المستقبل العربي، العدد 352، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، يونيو 2008، ص 112.

- **تحقيق الانسجام و تعزيز الترابط الاجتماعي:** تحدث وسائل الإعلام الإحساس بالانتماء إلى المجتمع الذي تربطه صفات مشتركة كالقيم و الثقافة و اللغة و التاريخ و التجربة و الحيز الجغرافي، و يزداد هنا الدور في المجتمعات المتعددة الأجناس و اللغات و المعتقدات، فيكون دور وسائل الاتصال لمّ الشمل، إن وسائل الاتصال قد تعزز العلاقات الاجتماعية، فأفراد الجمهور لا يكتفون عادة بما يقرؤونه أو يسمعونه أو يشاهدونه في وسائل الاتصال، بل يتحدثون عن تجاربهم الإعلامية مع ذويهم و أقربائهم.

- **توسيع دائرة الاستفادة من الثقافة:** ساهمت وسائل الاعلام في نشر المعرفة و الثقافة في أوساط واسعة من المجتمع...، إضافة إلى ذلك، فان الثقافة المعاشة في الواقع تتسع عندما تنتقل إلى وسائل الاتصال فعدد قراء رواية ما قد يكون محدودا، و لكن دائرة الاستفادة من الرواية تتسع إذا تحولت إلى فيلم.

- **الوعي بالعالم الخارجي أو توسيع المحيط:**ارتبطت وسائل الاعلام في نشأتها بالحاجة إلى معرفة الأحداث في المحيط القريب أو البعيد، و ساهمت هذه الوسائل في تحقيق الرباط بين أفراد المجتمع داخليا و إحداث الاهتمام بالأحداث خارجيا، و أصبح الجمهور في مختلف الثقافات و بفضل وسائل الاتصال يهتم بما يجري في الخارج.

- **النظر إلى الذات و المجتمع من زاوية خارجية:** توفر وسائل الاعلام تجربة إضافية قد لا تتوفر محليا كأن ينتقل الفرد من ثقافة إلى أخرى بمجرد تغيير القناة، و ذلك ما يجعل الفرد ينظر إلى ذاته و محيطه من بُعد أو أبعاد تجتث الفرد من عالمه المحدود، و يجعله يفلت جزئيا من تلك المسلمات التي تمثل جل ما يعرفه و يدركه عن ذاته و مجتمعه...، فالفرد يعرف بوعي ذاته و مجتمعه من الآخر أو الآخرون.

- **معايشة عوالم متعددة تحمل الإنسان عبر الزمان و المكان:** تقدم وسائل الاعلام إمكانية تجربة عوالم قد لا تكون حاضرة في واقع الفرد المتعامل مع الوسيلة الإعلامية، فالقنوات الفضائية تنقل الفرد إلى عدة

عوالم رمزية و خيالية، تجعل هذا الأخير يبتعد و لو إلى حين عن هموم الواقع و يجد التعويض في هذه المنظومة الرمزية الخيالية.

- **الإشباع، التحويل و الترفيه:** أظهرت نظرية الإشباع و الاستخدامات أن ما يجعل الجمهور شديد الارتباط بالقنوات الفضائية يتمثل بعملية الإشباع التي توفرها هذه البرامج من أفلام ومسلسلات ومنوعات وحتى الأغاني التي يجد فيها الفرد متنفسا للترفيه.

نقد الذات و تغييرها: تساهم محتويات الفضائيات في إحداث الوعي بالذات و علاقتها مع الآخرين فالتجارب الزمنية التي تعرضها قد تجعل الفرد يعدل من آرائه و مواقفه و سلوكياته وفق ما يراه ذا قيمة من ظواهر أو إحداث أو قضايا ما كان بإمكانه الاحتكاك بها خارج وسائل الاتصال.

2- 2 التأثيرات السلبية: و هي تشمل ما يلي:[12]

- **تحييد القيم:** يقصد بتحييد القيم إبعادها كعوامل مؤثرة، و يتمثل ذلك في تغييب القيم في المحتويات و بخاصة الترفيهية، إذ لا تتقيد هذه الأخيرة بنظام مع القيم، إنما تنبني على مبدأ ما يمكن أن يُسوَق إلى الجمهور الواسع...، فإن عملية استثناء القيم في المحتويات تكون دائرية، فوسائل الاعلام تعرض ما يرغب فيه الجمهور و الجمهور يرتبط بالقنوات التي تحقق له رغباته.

- **جمهرة الثقافة (التبسيط و التشويه):** يقصد بالجمهرة في هذا السياق كسب الجمهور الواسع على حساب النوعية، فالثقافة ارتقاء، أما ما تبثه وسائل الاعلام على وجه الخصوص القنوات الفضائية فإنها

[12] - عزي عبد الرحمان: نفس المرجع السابق، ص 116.

ثقافة تتسم بالجماهيرية، « و الشيء المتفق عليه هو أن هذه الثقافة هي نتاج وسائل الإعلام الحديثة بكل أنواعها»[13]

– **تضييق المحيط:** أظهرت نظرية المحيط الواسع و المحيط الضيق أن وسائل الاعلام تلعب دوراً سالباً بطريقة غير مقصودة في المجتمع الغني بالعادات و التقاليد و التفاعل الاجتماعي، ذلك هذه الوسائل تبعد أفراد المجتمع بعضهم عن بعض.

– **تقليص المحلي و توسع العالمي:** تتجه وسائل الاعلام عامة نحو ما يرتبط بالعولمة أو القرية العالمية يعني ذلك أن الاهتمام بالأحداث الخارجية في الثقافة الوافدة قد يكون على حساب المحلي...، و يرى بعض المنظرين المستقبليّين، أن ذلك قد ينتج أفرادا يملكون وعيا عالميا على حساب الخصوصيات المحلية.

– **إضعاف نسيج الاتصال الاجتماعي:** تعمل وسائل الاعلام بطريقة غير مقصودة على تقليص الزمن الاجتماعي، و يرى بعض الباحثين أنها تمارس التفكيك الاجتماعي، على اعتبار أن الزمن الذي يقضيه الفرد مع هذه الوسائل يكون بالنتيجة على حساب التفاعل الاجتماعي المباشر، و يحدث مع الزمن أن يألف هذا النمط من المشاهدة فيصبح انعزاليا.

– **المزج بين الرمزي و الحقيقي:** إن محتويات وسائل الاعلام ليست الواقع في حد ذاته بل تشكل تعبيرا عن الواقع، و يحدث التأثير السلبي عندما يتم المزج بين العالمين فيصبح الرمزي هو الواقع عند الملتقي.

[13] – جمال العيفة،" **الثقافة الجماهيرية، عندما تخضع وسائل الإعلام و الاتصال لقوى السوق**"، مديرية النشر جامعة باجي مختار، عنابة، 2003، ص :55–56.

- **إضعاف الحساسية اتجاه الممنوعات الثقافية:** إن بعض محتويات القنوات كأفلام العنف و الجنس و اللغة التي تخل بالقيم، تعمل مع الزمن على إضعاف درجة الانفعال أو المقاومة التي تصاحب هذه المحتويات في بداية الأمر.

- **الإدمان على الوسيلة:** يتضح أن شدة الارتباط بالوسيلة الإعلامية يكون على حساب المسؤوليات الاجتماعية الأخرى...، تشير الدراسات إلى أن التلفزيون يربط المشاهد به ساعات طويلة ، و يترتب عن هذا الإدمان قلة التفاعل الاجتماعي المباشر.

- **منع الفرد من نقد ذاته أو تغييرها:** إن شدة تعلق الفرد بوسائل الإعلام قد يدفعه إلى التفريط في معالجة واقعه، فالقنوات الفضائية تشغله عن الاهتمام بعالمه الذاتي، و إصلاحه أو تغييره، و يكون التأثير سلبيا على اعتبار أن هذه الوسائل تلهيه أو تحوّل انتباهه إلى قضايا قد تكون ثانوية و على حساب ما يجري في محيطه المباشر.

هذا ما يمكن استعراضه حسب هذا المنظور، و إذا كان الحديث هنا عن وسائل الاعلام عامة، فالأكيد أن القنوات الفضائية تقع في هذه الدائرة، و لكن إذا استعرضنا تأثير القنوات على الهوية .

3- أبعاد تأثير القنوات الفضائية على الهوية الثقافية:

رغم ما يحيط هذا الموضوع من غموض حول تأثير القنوات الفضائية على الهوية الثقافية، إلا أنها تبقى محاولة علمية لمقاربة « تأخذ بعين الاعتبار اثر التكنولوجيات في البيئات الاجتماعية و الثقافية المحلية و الكيفية التي تستعمل فيها الخصوصيات الثقافية المحلية هذه التكنولوجيات»[14].

[14] - محمد الجمال راسم ، "**الاتصال و الإعلام في العالم العربي في عصر العولمة** ، مرجع سبق ذكره ، ص : 76 .

كذلك أن الانبهار بهذه الوسيلة يجعل الفرد لا يميز بين السلبي و الايجابي و بين الاستبعاد و الاستبقاء خاصة و أن التدفق الإعلامي و المضمون كثيف جدا، و يمكن القول أن الفضائيات وسيلة تمرر ألاف الرسائل والمضامين دون رقيب .

و إذا سلمنا بفكرة الجمهور النشيط الذي ينتمي إليه هذا الفرد في تعامله مع القنوات ، فهذا يسوقنا إلى أن « مضمون القنوات يدعوا إلى الهيمنة الإعلامية و الثقافية و الادعاء بأنها هيمنة بلا حدود، و عدم التسليم بقدرتها على إذابة أو طي الثقافات المحلية و صهرها في بوتقة واحدة تنطوي على تجاهل سياق المجتمعات الأخرى »[15] .

نريد أن نقف عند أبعاد هذا التأثير الذي يمكن أن يحدثه استخدام هذه الوسيلة على الهوية الثقافية في أبعادها و عناصرها و مكوناتها، و هذا ما سيأتي عليه الذكر.

إن انتشار وتنوع القنوات الفضائية من الناحية التقنية، و من ناحية المحتويات التي تحملها، جعلها تتدرج في اهتمامات التناول البحثي، و طرح هذا الأمر من هذه الناحية ربما يجعل البعض يستضعف قدرة هذه الوسيلة في التأثير على الهوية الثقافية « و من ناحية أخرى فان القدرة الكبيرة على نقل الصور عبر المكان و الزمان يفتح المجال لنفي الآخر، هذا الآخر الذي يعيش في سياقات مختلفة تماماً عن السياقات موطن الدول الباثة»[16].

و ما يستحق التذكير في هذه الدراسة هو أن تأثير القنوات الفضائية يكون في جانبي الاستخدام الخاص بالوسيلة في حد ذاتها، و في التعرض للمحتوى الذي تحمله، و التركيز الأكبر هو على المضمون الهائل

---

[15] – بودبوس رجب ، " **ماضي المستقبل، صراع الهوية و الوطنية في عالم يتعولم**" ، الطبعة الأولى، تالة للطباعة و النشر، ليبيا، 2001.ص : 32 .

[16] – هويدا عدلي، "**الشباب والهوية والعولمة ، جدليات القبول والرفض**" ، مرجع سبق ذكره، ص 32.

الموجود ، و الذي يتعامل معه الفرد « لتنقله إلى دول أخرى، و يعني هذا انه أصبح بمقدور الفرد أن يتعرف على عوالم جديدة تحمل معها وعودا و آمال و تحمل معها قيما جديدة، تهدد ثقافته الوطنية و قيمه و عاداته و قد تسرع في تحطيم أنماط الحياة التقليدية»[17].

نحاول مقاربة هذا التأثير من ناحية الطرح الذي أتى به عزي عبد الرحمن، حينما قدم قراءة حول مفهوم الثقافة من خلال تفاعلها مع وسائل الإعلام ، وفي مراجعته لمختلف مفاهيم الثقافة لم يجد مفهوما يتماشى و نظريته ، مما استوجب عليه استحداث مفهوم جديد للثقافة فهي في منظوره " سلم يمثل مستواه الأعلى للقيم ، فالإنسان لا يكون مصدرا للقيم وإنما أداة تتجسد فيه القيمّ و مصدر القيم في الأساس الدين× "

4_ القنوات الفضائية حيرة مشروعة ومستقبل غير واضح الملامح :

كثرت محاولات التنبؤ لما يمكن للتلفزيون أن يحدثه من تأثيرات ، بعد أن أصبح بإمكان الناس في كل العالم استقبال القنوات الفضائية في منازلهم، ومن المنتظر أن يتسع تعرض الجمهور العربي لقنوات أخرى، خصوصا أن تاريخ البث التلفزيوني خلال السنوات الأخيرة يفصح عن كونه أداة تأثير قوية أخذت مكانا داخل كل أسرة و كل غرفة ، ومع أن القنوات الوافدة تشكل لقاء الجمهور العربي بالفكر الغربي والحضارة والثقافة الغربيتين إلا أن هذا اللقاء لا يشكل حوارا بين طرفين، إذ يتحدث طرف واحد فقط، بينما يعد الجمهور العربي مجرد طرف مستقبل .

[17] – صالح خليل أبو أصبع: **استراتيجيات الاتصال و سياساته و تأثيراته**، ط1، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، الأردن ، 2005، ص

×– مجلة الدراسات الاعلامية القيمية المعاصرة ، دراسة الأستاذ ساعد هماش ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، ص : 71 .

4_1 الخوف من وفرة مصادر المعرفة :

وصف الإنسان بنعوت شتى، كالقول إنه كائن اجتماعي، أو كائن ناطق، أو كائن سياسي، ويبدو أن صفة

أخرى تتبلور ليلبسها البشر من خلال القول إن الإنسان يتحول رويدا إلى كائن تلفزيوني، حيث إنه يستمد

من التلفزيون الكثير من المعلومات ووجهات النظر والانطباعات والأحكام ، والكثير من الدراسات أرجعت سبب الإهمال الدراسي والمعرفي سببه قضاء مدة أطول أمام شاشات التلفزيون

وبعد ظهور القنوات التلفزيونية الفضائية أصبحت حركة الاتصال تيارا جارفا لا يمكن لأحد أن يكون في معزل عنه، وإن هذه الحركة قد ازدادت واتسعت بفعل الاتصالات الفضائية، و أصبح الناس أمام فيض من المعلومات والأفكار والمشاعر، بحيث أمكن القول إن الوفرة المعلوماتية أصبحت أكبر ظواهر العصر، وهكذا تدفع هذه الوفرة بعضهم إلى العزلة وإلى عدم الاكتراث، أو إلى مزيد من المغالاة في الانشغال بها، وقد ينظر بعضهم إلى ذلك التدفق الاتصالي الواسع على انه إثراء لفكر الإنسان، ويرى آخرون فيه اغتصابا عقليا وحربا نفسية وتحويلا عقائديا وبوجه عام، فإن المواطن العربي يجد نفسه مضطرا إلى استهلاك عدد غير قليل من المعلومات، بوعي أو بغير وعي، وهذا الأمر يجعله منشغلا بها[18]

2_4 الفضائيات و التأثير على الانتماء:

« الانتماء كفكرة و مضمون قد يتمثل في مشاعر ايجابية تحمل معناً للاحتواء و التلاصق بين الأشياء و الأفراد، أو بين الأفراد بعضهم مع بعض، أو بين الأفراد و الأرض التي ولدوا عليها، أو حتى أنها تعني الاعتناق لفكر وعقيدة بعينها...، إن تعريف الانتماء كعلاقة ذات مغزى تؤصله مفاهيم من القيم و المبادئ التي تربى عليها الفرد في الأسرة الواحدة، و من ثم الوطن الواحد، قد تنمي الرابطة الروحية و العقلية و الإحساس بالمسؤولية اتجاه من ينتمي لنا، أو ننتمي نحن له، شريطة أن يكون دور الانتماء الديني له بالغ الأثر في تشكيل شخصية الفرد » [19].

و الانتماء هو أعلى سلم في الهوية كسمة تعبر عنها، ومشاهدة القنوات بكثرة يمكن أن يحدث تفككا في الانتماء بكل أبعاده، حتى مع المكان و الذي يمثل « تمازج بين الطبيعة و القيم و الثقافة و أنماط التعامل مع البيئة و الآخر و العمران» و مع استخدام وسائل الإعلام عموما فانه « قد تراجعت أهمية عامل المكان

المعايش كمتغير أساسي في تأسيس ذات الفرد و انتمائه و شخصيته في المجتمع المعاصر إلى حد كبير»[20].

[18]– التطاوي عبد الله، " **الحوار الثقافي، مشروع التواصل و الانتماء**" ، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2006 ،ص: 65 .

[19]–الجوهري حمد الجوهري محمد، " **العولمة و الثقافة الإسلامية**"، ط1، دار الأمين للنشر و التوزيع، 2002 ، ص : 32 .

بمعنى هناك قضاء على الانتماء للمكان ، هذا المكان الذي يمثل الوطن و الأرض، فالفرد أصبح ينتمي في إطار مفهوم العولمة إلى مجتمعات و ليس مجتمع، و لأديان و ليس لدينه، و لثقافات و ليس لثقافته، إنه المتحرر من انتماءاته اللغوية و القومية أو الثقافية أو الجغرافية أو الوطنية »[21]، و بالتالي لا يشكل سلم الانتماء فقط إلى المكان و إنما إلى انتماءات لغوية ، دينية، ثقافية...الخ، ذلك أنه « يعد الانتماء محورا مفصليا يكشف عن الآلية النفسية التي تتحكم في علائقية المجتمع بأفراده...، الانتماء في كافة الجوانب الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية، فالانتماء يؤكد حضور مجموعة متكاملة من الأفكار و القيم و الأعراف و التقاليد، التي تتغلغل في أعماق الفرد »[22] .

إن القضاء على الانتماء بكل أبعاده من شأنه أن يحدث حالة اغتراب لدى الفرد تجعله يرتبط بعوالم أخرى و بالتالي يتحقق ما يسمى باللاانتماء.

3_4 القنوات الفضائية و التأثير على اللغة:

« يتفق الباحثون على اختلاف مذاهبهم في العلوم الإنسانية و الاجتماعية على أن ثقافة كل أمة كامنة في لغتها، كامنة في معجمها، و نحوها و نصوصها ، و اللغة بلا منازع تبرز السمات الثقافية بأنواعها »[23] .

و اللغة العربية تمثل أحد مكونات الهوية الثقافية العربية و هي خير معبر عنها، « إن اللغة بكل معالمها هي الكيان الحقيقي، كظاهرة اجتماعية، للهوية و الوحدة القومية و الانتماء للجماعة والمجتمع، تتجلى اللغة بقواها التعبيرية و النحوية ، و احتوائها لثقافة الأمة في مظاهرها الفكرية النظرية و التطبيقية »[24] .

طرح قضية تأثير الفضائيات على اللغة، و القصد بها اللغة العربية ، من اجل إبراز الطابع التحكمي اللغوي في الفضائيات، أيضا « هناك قضية ثقافية رئيسية في أية وسيلة للاتصال، و هي اختيار و استخدام اللغات، و نظرا للمكانة البارزة التي تحتلها اللغة باعتبارها التعبير الأولي للمجتمع .

فمحتوى البرامج في جله بلغات أجنبية، كذلك يطرح إشكال اللغة العربية بين اللهجات المستعملة ، خاصة وأن كل جهة منتجة تحاول ابرزا هويتها من خلال لهجاتها و هذا من شأنه إضعاف حضور اللغة العربية و عليه فإن اللغة هي أحد أهم مكونات ثقافتنا العربية .

4_4 القنوات الفضائية و التأثير على الدين:

الدين الإسلامي من معالم و مرتكزات الثقافة العربية، مرتبط أيما ارتباط باللغة العربية، و لقد أدى الإسلام دورا هاما في نشر الهوية و الثقافة العربية ، « و الاعتقاد الديني هو الأساس الذي تقوم عليه الثقافات »[25] و إذا كان هناك اعتداء على الخصوصيات الثقافية و ملامح الهوية من خلال تكنولوجيا الإعلام ممثلة في القنوات الفضائية ، فالأكيد أن هناك اعتداء واضح عبر هذه الوسيلة على أحد معالم الثقافة و

---

[20]- التطاوي عبد الله ، مرجع سبق ذكره ، ص : 43 .

[21]- عبد الله العابد حسن، " **أثر العولمة في الثقافة العربية**" ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 2004 ، ص : 76 .

[22]- البازغي سعيد، " **شرفات لرؤية العولمة و الهوية و التفاعل الثقافي**"، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005،ص : 21

[23]- اليحياوي يحى،" **العولمة و التكنولوجيا و الثقافة** "، مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة، ط1، دار الطليعة للطباعة ، 200،ص: 13 .

[24]- عمار بوحوش، " **لغتنا العربية، جزء من هويتنا**"، مرجع سبق ذكره ، ص : 34 .

[25]- محمد داود عبد البارئ،" **الأصول الإسلامية للثقافة العربية** "، ط1 ، البيطاش للنشر و التوزيع، الإسكندرية، 2005 ، ص : 62 .

[26]- نور عصام، " **العولمة و أثرها في المجتمع الإسلامي**" ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002.

[27]-محمد داود عبد البارئ ، مرجع سبق ذكره ، ص : 65 .

[28]- يوسف القرضاوي ، " **الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي**"، مرجع سبق ذكره ، ص : 45 .

عناصرها "الدين" ، و هذا في إطار الغزو الثقافي للمجتمعات، حيث « تعاني كل الشعوب و الأمم، فانه في جوهره و أساسه يستهدفه الإسلام بالدرجة الأولى، من خلال المضامين التي يقدمها التي تدعوا لتبني سلوكيات وقيم منافية للدين الإسلامي ، لأنه هو الطاقة الوحيدة التي يستمد منها المسلمين مبادئهم» [26] .

و انظر إلى التعبير الصريح الموحي بالعداء للدين « في ربيع عام 1990 ألقى هينري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق خطابا أمام المؤتمر السنوي لغرف التجارة الدولية قال فيه: إن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب»[27] .

و من خلال القنوات الفضائية نجد أن هناك حرب حالية ضد العقيدة الإسلامية تقوم بغرس قيم وسلوكيات غربية ، صور فاضحة، ، و خطورتها أن القنوات تصل للجميع ، و في إطار هذا التأثير نجد أن « من أهم المشكلات تعزيز النزعة المادية على حساب الجانب الروحي ، وإظهار ثقافات الآخر وشعائر أديانهم ومحاولة تشويه صورة الإسلام و المسلمين»[28] .

و بالتالي ما يبث عبر الفضائيات من أفكار منحرفة ، يهدف إلى تغيير المعتقدات الدينية، و استبعاد الإسلام و تفريغ المناسبات الدينية من كل مدلولاتها و قيمها، و تصوير الدين على أنه يحد من حرية المرء، و كل هذا يندرج ضمن تأثيرات العولمة الساعية لمحاربة الهوية العربية الإسلامية، و من جهة أخرى يؤثر على الزمن الديني، بمعنى يؤثر على الوقت المخصص للعبادات، و بالتالي إضعاف الجانب الديني لدى الأفراد.

4_5 القنوات الفضائية و التأثيرات الأخلاقية:

لا أحد ينكر التأثيرات الأخلاقية للقنوات الفضائية، حيث أثبتت العديد من الدراسات أن الفضائيات معظم برامجها تحمل مشاهد غير أخلاقية، و أن هذا المشكل يأتي في المرتبة الأولى من بين مخاطر

الفضائيات حيث أخذت تعرض صور و فيديو و حكايات تنتشر سلوكيات مخلة بالآداب العامة صارت تدريجيا مشاهد مألوفة وطبيعي جدا مشاهدتها مع أفراد العائلة ، أسهمت بنصيب أوفر في التأثير على أخلاقيات الأفراد بنشر ما يمس بفضيلة الحياء و القيم الدينية و الخلقية التي ينبغي أن يتحلى بها كل فرد و في أي مجتمع»[29] .

القنوات الفضائية فرضت نفسها كطرف ضروري داخل الأسر وهذه الحاجة دفعت بالأفراد للإدمان عليها ومن شأنه تهديد قيم و أخلاق مجتمعنا، و من شأنه أيضا إهدار القيم و تحييدها.

وعدم التحكم بهذه الوسيلة من شأنه إضعاف الحساسية و الاستحياء من الممنوعات الأخلاقية، و تكرار الفعل لمرات ربما يؤدي إلى تجاوز هذا الممنوع إلى القيام به دون أدنى وازع، و بالتالي تصغير هذا الفعل في أعين الشباب، و التأثير أيضا على القيم الأخلاقية كجزء من هويتنا الثقافية[30] .

4_6 القنوات الفضائية و التأثيرات الاجتماعية:

ترجع التأثيرات الاجتماعية بمتابعة القنوات، و التي من المحتمل أن تؤدي إلى إضعاف و تفكك بنية سياج التفاعل الاجتماعي، فكثرة استخدام الزمن الإعلامي ربما يؤدي إلى التأثير على الزمن الاجتماعي، أي التأثير على الوقت المخصص للتواصل مع الأسرة و الأصدقاء، و بالتالي يحدث تباعد اجتماعي بين أفراد المجتمع، و هذا ما يؤدي إلى العزلة عن الآخرين، و ما يزيد في ذلك كثافة مشاهدة القنوات الفضائية، و بالتالي التباعد بين أفراد المجتمع و كذا غياب الاتصال الشخصي بينهم، و هذا كله من شأنه أن يؤثر على عملية التناقل الثقافي و على التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع، كذلك على التواصل الاجتماعي و انحصار العلاقات الاجتماعية و تجميد التناقل و الحراك الاجتماعي، مما يضعف علاقة

الفرد بثقافته و مجتمعه[31].

4_7 القنوات الفضائية و التأثيرات الثقافية:

إن كل ما قدم من تأثيرات سابقا يمكن أن يندرج في هذه النقطة، و الحقيقة التي لابد من إظهارها في هذه النقطة أنه طالما ترتبط الثقافة بوسائل الإعلام باعتبارها المضمون الذي تقدمه الوسائل الإعلامية ، فان أكبر التحديات التي تواجه العولمة هي عولمة الثقافة، فليس المشكلة في عولمة الأدوات و الوسائل، و إنما تكمن في عولمة المضمون المقدم عبرها، و الذي تحاول الفئات المهيمنة فرضه لصالح ثقافة عالمية واحدة خاصة و أن الواقع يقول أن « الدول التي تمتلك القنوات وسلطة البث هي التي تتحكم في بناء الثقافات وفقا لما يسود فيها من نظم اجتماعية و قيم فكرية، و ظلت الدول التي لا تملك تلك التقنيات تتلقى تلك القيم و النظم دون أن تشارك بقيمها و نظمها »[32] ،خاصة مع ضعف البنية الثقافية في منطقتنا العربية مما يسهل عملية التأثير الثقافي لعادات و قيم و أفكار...، و من ثم الوقوع في التغريب الثقافي، و كذا تنامي الفردانية و تراجع الجماعية، و التأثير على القيمة، و خلق فوضى في المكان و الزمان، ووصول الفرد إلى الاغتراب عن مجتمعه و ثقافته، و كذا خلق النزعة الاستهلاكية...، و كلها تحديات ثقافية خلقتها التطورات التكنولوجية بما تحمله من مضامين و محتويات، و التي من غير الممكن إيقافها،

---

[29]– محمد الحسن إحسان ،"**تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي**"، الطبعة الأولى، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1998، ص : 23 .

[30] _ محمد داود عبد البارئ، مرجع سبق ذكره ، ص : 85 .

[31] _ مجدي حجازي أحمد، " **الثقافة العربية في زمن العولمة**" ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001، ص : 23 .

[32]– سلمان عبد الباسط ، "**عولمة القنوات الفضائية**" ، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2005، ص : 212 .

[33]– السيد عزمي طه، قرعوش كايد و آخرون ، "**الثقافة الإسلامية، مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها**"، الطبعة الثالثة، دار المناهج للنش و التوزيع، عمان، 1999، ص : 87 .

« أيا كان فالعالم يتشكل اليوم بطريقة مختلفة و بقوى جديدة، الأمر الذي يعني أن الثقافة أخذت تتغير سواء من حيث أطرافها و مضامينها أو من حيث مسالكها، أو من حيث آليات تشكلها و القوى التي تسهم في إنتاجها و استهلاكها »[33].

5_ جوانب إيجابية لتأثير القنوات الفضائية على الهوية الثقافية:

من باب الإنصاف في حق القنوات الفضائية، فلا أحد ينكر الإيجابيات التي تقدمها هذه الوسيلة عامة، و ما يمكن أن يكون لها من تأثيرات ايجابية على الهوية الثقافية، و يمكن أن نذكرها فيما يلي إيجازا[34]:

- من الناحية الثقافية، تعمل القنوات على الانفتاح على الثقافات العالمية المختلفة، و التي من شأنها تعزيز التفاعل بينها، و اعتبارها بمثابة أداة للانفتاح على الآخر، بالإضافة إلى التعريف بهويتها الثقافية، و عرض عاداتها و قيمها على باقي الشعوب و الأمم، و السماح بالتبادل الثقافي مما يعزز التعددية الثقافية .

- أما من ناحية التأثير على اللغة فربما يكون إيجابيا، « حيث تزداد حصيلتنا اللغوية باستخدام وسائل الإعلام سواء عربية أو أجنبية و قد تدعم زيادة الحصيلة اللغوية استخدام وسائل الإعلام و الحديثة» [34] ،و بالتالي قد تسمح بتعلم لغات أخرى، و هذا ما يسمح بعلاقات ثقافية من خلال هذه العلاقات بين اللغات.
- قد يدعم مشاهدة البرامج الهادفة على تعميق الجانب الديني، أي من خلال الاطلاع على القنوات المخصصة لذلك، مما يعزز القيم الدينية لديهم ، خاصة في الفترة الحالية و التي تعرف هجوما على الدين الإسلامي، و إعطائه تلك الصورة النمطية اللصيقة بالإرهاب.
- مشاهدة القنوات قد يعزز الترابط و التفاعل الاجتماعي من خلال تغطية الأخبار خاصة المحلية مما يقوي الصلات الاجتماعية .
- إن الاطلاع على برامج القنوات الفضائية من شأنه تعزيز الانتماء بمختلف أشكاله لدى الفرد سواء إلى ثقافته أو إلى مجتمعه أو وطنه أو دينه..، بالإضافة إلى أنها توسع من وعي الفرد بالعالم الخارجي دون أن تؤثر على انتمائه لمجتمعه المحلي.

فالشيء الأكيد أن القنوات الفضائية لها تأثيرات إيجابية و سلبية، و محتواها سلبي و إيجابي في نفس الوقت، و يبقى فقط البحث في هذه التأثيرات، و عن مختلف الاتجاهات التي يحملها المشاهدين نحوها، و هذا ما يمكننا من الحكم عن هذا الأمر.

34_ رمزي ناهد، "**لتلفزيون و ثقافة الطفل ، دراسة تقويمية للسلبيات و الايجابيات**"، المركز الوطني للبحوث الاجتماعية و الجنائية، القاهرة، 1979، ص : 65 .

6_ الهوية ، القنوات الفضائية و الثقافة:

إن هذه العلاقة الثلاثية القائمة بين القنوات الفضائية و الثقافة و الهوية هي مدعاة إلى الكثير من التأمل والتفكير والتدقيق ، فلم يعد ممكنا اليوم أن تبني المجتمعات المعاصرة وفي مقدمتها المجتمعات العربية والجزائر على وجه الخصوص هويتها بالطريقة التي اعتادت عليها ، فنهاك وسائط جديدة تساهم اليوم بشكل فاعل ومؤثر في عملية البناء هذه ، خاصة وأن فئة الشباب أكثر تأثرا من غيرها بمضامين القنوات الفضائية وإذ أخذنا بعين الاعتبار أن التلفزيون اليوم هو تقنية جماهيرية وثقافية جد مؤثرة في عدة جوانب فجمهوره يتزايد يوما بعد يوم ، وإذا كانت الهوية وعيا بالذات وإنتاجا دائما ومتجددا ، فتحصينها وتفاعلها مع الواقع يكون مطلبا ضروريا ، والانتباه إلى أهمية ودور مختلف الوسائط المتعددة المؤثرة في الهوية وفي مقدمتها القنوات الفضائية ، فالثقافة التلفزيونية تساهم بشكل أساسي في الهوية وتنشئة الأجيال ومثل هذا التكامل من الخطاب المسموع والمرئي هو الذي يخاطب الحواس والعقول ، وهو ذاته الخطاب الذي ينشئ الأجيال .

فالفرد يكون بين موقفين إما رفض مضامين الثقافة التلفزيونية بحجة تحصين الهوية وإما ينفتح على الأخر خاصة و أن الإنتاج العربي لا يستند إلى روح تواصلية تربط بين الثقافات العربية المتنوعة وتبقى فقط مستقبلة للثقافات الوافدة ، فالعلاقة بين القنوات الفضائية والثقافة والهوية علاقة ترابطية لأنها تمس مستقبل المجتمع العربي ، فمن حق الشعوب التمتع ببرامج تلفزيونية تنمي معارفهم وتوسع مداركهم وتعبر عن ذاتهم وتؤدي كذلك وظيفة الحفاظ على هويتهم الثقافية وتحصينها من الغزو الثقافي ، كما يمكن أن تؤدي هذه الثلاثية دورا بارزا في تدعيم خصوصية الثقافة العربية وتحقق معاصرتها من خلال التعبير عنها اعتمادا على القنوات الفضائية .

ومن ثمة يمكن القول بأن هذه الثلاثية هي أيضا رهينة هوية المنتجين أنفسهم ، إضافة للإنتاج يجب أن يشمله الإبداع أيضا وغاية قيمية للوصول إلى منتوج إعلامي يعكس الثقافة والهوية العربيتين ، فالقنوات الفضائية صارت حاملا لمختلف الثقافات وبالتالي أصبحت أساس إبراز كل ما هو حضاري للجمهور المتلقي الذي تصل إليه بسهوله ، خاصة وان المجتمعات العربية تمر بمرحلة متسارعة و من شان كل التغييرات المجتمعية أن تساهم في تغيير بعض ملامح هويتنا العربية .

تمهيد :

في هذا الفصل سنحاول استعراض تطور آليات البث التلفزيوني الفضائي المباشر من خلال استعراض التطورات الحاصلة في مجال الأقمار الصناعية منذ الستينات من القرن الفارط و كذا التطورات الحاصلة في المجال التلفزيون و القنوات الفضائية ، و هي إذن ملامح الثورة الاتصالية الجديدة أو تكنولوجيا الاتصال و التي يمثل التلفزيون و الأقمار الصناعية و القنوات الفضائية إحدى أهم أدواتها ، و التي أفرزت أشكالا جديدة للاتصال الجماهيري ، في مقدمتها بث القنوات الفضائية بواسطة الأقمار الصناعية .

عندما نتحدث عن الآليات الاتصال الفضائي الجديد ، فإننا نشير في البداية إلى تعددها من حيث الأدوات و القنوات المستخدمة ، و التي تتمحور في اعتقادنا حول ثلاث أدوات رئيسية هي أقمار البث التلفزيوني المباشر كأدوات البث التلفزيون كجهاز استقبال و القنوات الفضائية كظاهرة اتصالية ناتجة عن التطورات الحاصلة في مجال الاتصالات الفضائية و تقنياتها وأحدثت هذهِ الفضائيات العديد من التحولات الملموسة كما أحدثت تحولات في العديد من المفاهيم والقيم.

1 –الأقمار الصناعية لمحة تاريخية :

حدث الكثير من التطورات التكنولوجية مابين عام 1945 وحتى الوقت الحالي نهاية القرن العشرين على مستوى الاتصالات الفضائية عبر الأقمار الصناعية ، فكما هو معلوم عصر الفضاء بدأ في الرابع من أكتوبر عام 1985 حين أطلق الإتحاد السوفياتي (سابقا) أول قمر صناعي في العالم يدور حول الأرض في الفضاء . و كما هذا الإنجاز العلمي تحديدا لأمريكا و تهديدا لأمنها القومي . و لكن القمر الصناعي السوفياتي الأول سبوتنيك (Sputnick) ، كما لم يكن إلا شرارة أسعلت نار المنافسة بين العلماء الأمريكيين و السوفيات في دائرة السباق العلمي و التكنولوجي . لقد انطلقت المنافسة بينهما و تعاقبت في سبق كل منهما الآخر في بعض انجازات الفضاء ، إذ لم يمص أكثر من شهر واحد بعد إطلاق القمر الصناعي السوفياتي الأول حتى أطلق القمر الصناعي السوفياتي (Sputnick) في 3 نوفمبر 1957 ، وأطلقت الولايات المتحدة الأمريكية بعد أربعة أشهر أطلقت قمرها الصناعي الأول الكاشف (Explorer) في 31 فبراير من عام 1958 .[1]

و لقد توالت سلسلة التجارب الخاصة بالأقمار الصناعية لمختلف الأغراض العلمية لتحقيق التكامل العلمي عن المعلومات الفضائية ، فعلى سبيل المثال تجاوز عدد الأقمار الصناعية من طراز كوسموز (Cosmos) حتى عام 1971 أزيد من 40 قمرا صناعيا و ارتفع إلى 52 قمرا صناعيا بعد منتصف عام 1974 .

و لم تلبث الأبحاث العلمية بالأقمار الصناعية أن تحولت إلى ميدان التطبيق و فتحت الباب لتطورات عديدة و من أبرز مجالات التطبيق التي استخدمت فيها الأقمار الصناعية تحقيق الاتصالات اللاسلكية لمسافات بعيدة لم تعهد بأقوى الأجهزة من قبل و نقل المكالمات الهاتفية في آن واحد عبر القارات و نقل البث الإذاعي و التلفزيوني إلى مسافات طويلة ، فتحققت إمكانية الاستغناء عن الخطوط السلكية (Câbles) و استخدمت أيضا لأغراض التنبؤ الجوي لعدة أيام ، و تحقيق المساعدة اللاسلكية للسفن و البواخر و الطائرات عند تنقلها عبر المحيطات ، بالإضافة إلى ذلك تحقيق الاستطلاع العسكري فوق أراضي الدول الأخرى أو بمعنى أدق استخدامها لأغراض تجسسية .[2]

بالإضافة إلى الاتحاد السوفياتي و الولايات المتحدة الأمريكية خاضت كل من فرنسا و إنجلترا و ألمانيا و الصين في هذا المجال بصفة محدودة في بداية الأمر ، إلا أن سرعان ما حاولت الركب و اللحاق بسابقاتها و ذلك عن طريق إنشاء تعاونيات في هذا المجال باشتراكها بميزانيات في مشروع فضائي واحد .

على غرار هذا تعاونت ألمانيا ، بلغاريا ، المجر ، بولندا ، رومانيا مع الإتحاد السوفياتي لإنتاج القمر الصناعي أنتركوسموز) (Intercosmos) كما أن الرغبة دفعت بالدول العربية – بعد النتائج التي أخذت تعطي مردودها في عالم الاتصال – إلى إنشاء الشبكة الفضائية العربية عرب سات (Arabsat) و محاولة اللحاق بدول الشرق و الغرب التي سبقت إلى تسخير الأقمار الصناعية في خدمة المواصلات بكل أنواعها ،و هناك تجارب عديدة على النطاق العالمي و الدولي و الإقليمي و المحلي أبرزها الشبكة الكندية و الشبكة الهندية و شبكة جنوب أفريقيا و أخيرا الشبكة المصرية للاتصالات الفضائية[3] .

[1]_ الطيب الجويلي، **البث الاعلامي عن طريق الأقمار الصناعية والاعلام** ، دار المسيرة ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص : 5_8

2_ ماجد الحلواني ، **القمر الصناعي تحد حضاري وضرورة عصرية** ، المكتبة المصرية ن ص : 15

2_أنواع أقمار اتصالات:

هناك نوعان من الأقمار الاتصالات :

أقمار صناعية سالبة : و هي عبارة عن بالون كبير ذي سطح معدني يقوم بعكس الإشارات المرسلة و إعادتها إلى الأرض مرة أخرى ، و من أشهر أنواع أقمار الاتصالات السالبة القمر الصناعي (Score) الذي أطلقته الولايات المتحدة عام 1958 و القمر الصناعي (Courrier) الذي أطلق عام 1960 و القمر الصناعي ايكو (Echo) الذي استمر يعمل بدون فعالية حتى عام 1980 ، إن دور هذه الأقمار الصناعية في الاتصالات اللاسليكة سلبي بمعنى عدم احتواءها على أجهزة لا سلكية للاستقبال أو الإرسال و تقتصر مهمتها على عكس الموجات السلكية .

أما الأقمار الصناعية الموجبة (Actives) : فتحتوي على أجهزة استقبال و إرسال و تسجيل و كل ما يحتاجه العمل الإذاعي و التلفزيوني ، لذلك فهي بحاجة إلى طاقة التشغيل تستمدها من مجموعة البطاريات الشمسية الموجودة على سطحها و منها القمر الصناعي تليستار واحد و القمر الصناعي تلستار إثنان (Télé Star 1) (Télé Star 2 و أقمار ريلاي (Relay) .

و يقف على قمة هذه الأقمار النوع الشهير سينيكوم (Signe – Com) الذي كان له دورا في نقل الألعاب الأولمبية من طوكيو إلى كل العواصم الأوروبية و بعض مدن أمريكا الشمالية و جزء من آسيا و أمريكا اللاتينية سنة 1964 " [4].

3_ الطيب الجويلي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 13

و هناك ثلاثة أنماط لاستخدام أقمار الاتصال : النوع الأول يقوم على نظاما لاتصال من نقطة إلى نقطة و يقوم هذا على بث الإشارات التلفزيونية عن طريق المحطات الأرضية إلى القمر الصناعي الذي يقوم دوره بالتقاط

الإشارات و إعادة بثها إلى محطة أرضية أخرى تقوم بتوزيعها عن طريق شبكة الاتصالات المحلية ، أما النمط

الثاني فهو أقمار التوزيع التي تقوم بتوزيع الإشارات التلفزيونية إلى مناطق واسعة بتكلفة أقل، و يعتمد هذا النظام على محطات صغيرة متنقلة تقوم بتغطية الأحداث أينما تقع و تبثها للقمر الصناعي الذي يعيد الإشارة إلى المحطات الأرضية الأخرى ، و من أمثلة الشبكات التي تستخدم هذا النظام شبكة أقمار (مولينا) التي تغطي مناطق الإتحاد السوفياتي (سابقا) .

بينما يسمى النمط الثالث و هو حديث موضوعنا "أقمار البث التلفزيوني المباشر "، و هو النوع الجديد الذي يقوم بإرسال الإشارات التلفزيونية من دون الحاجة إلى محطات أرضية ، أي هو الإرسال الذي يرد بشكل آني و مباشر من محطة الإرسال إلى الأجهزة التلفزيونية الفردية للمتلقين ، و مما يميز هذا النمط الجديد من أقمار البث المباشر

(Satellite de télédiffusion direct) هو أنه ثقيل الوزن و باهظ التكاليف و قوي البث (230 واط) حيث تعد هذه القوة أكبر بعشرة أضعاف من قوة أقمار الاتصالات أي النوع الأول و الثاني السالف ذكرهما و هذا ما يسمح باستقبال البث التلفزيوني دون المرور عبر المحطات الأرضية و دون الخضوع لأية مراقبة .

و ينبغي الإشارة إلى أنه لا يمكن التقاط البث التلفزيوني المباشر بواسطة هوائيات التلقي العادية

4_ عاطف عدلي العبد ، **"دراسات في الاعلام الفضائي "**، دار الفكر العربي ،ط1 ، سنة 2005 ، ص : 97_ 98

[5] _ سعد شعبان ، **"الأقمار الصناعية وسفن الفضاء "**، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، ص : 52_ 53

(Antenne classique) و إنما يتم حاليا بواسطة هوائيات منحنية – أطباق – يتراوح قطرها ما بين 75 و 190 سم تسمى الهوائيات المقعرة (Parabole)[5] .

3 _ تجارب البث التلفزيوني الفضائي المباشر :

إن أحسن التجارب في مجال البث التلفزيوني الفضائي المباشر عرفتها المنطقة الغربية لحوض البحر الأبيض المتوسط خلال منتصف الثمانينيات و التسعينيات من القرن الفارط ، فقد أطلقت فرنسا أول قمر صناعي خاص بالبث المباشر في أكتوبر سنة 1985 يسمى TDF1، الذي أعقبه فيما بعد قمرها الصناعي الثاني TDF2 في أفريل من عام 1990 و قد تم توزيع قنوات القمر الأول على القناة الفرنسية الأولى (TF1) و القناة الفرنسية الثانية (F2) و القناة الفرنسية السابعة (TV 7) ، أما قنوات القمر الثاني فتم توزيعها على القناة الخامسة (La5) و قناة (M6) و

القناة الفرنسية (+Canal) ، و بداية من سنة 1994 أدرجت كل القنوات الفرنسية في الاتصال الفضائي كالقناة الفضائية الثانية (F3) و القناة المشتركة الألمانية (RTL)و قناة (Arte)[6] .

كما أطلقت ألمانيا في شهر أوت سنة 1988 أول قمر صناعي خاص بالبث المباشر و يسمى (TVsat) و كان من المفروض حسب الخبراء أن يكون هو أول قمر أوروبي للبث المباشر لو لا التجارب الألمانية التي تعطلت و فشلت.

و في جوان سنة 1979 أطلقت وكالة الفضاء الأوروبية أول قمر صناعي أوروبي خاص بالبث المباشر بواسطة صاروخ آريان و يسمى هذا القمر الذي تشترك فيه مجموعة من الدول الأوروبية بالقمر الصناعي أولمبيس (Olympus)، و قررت هيئة الإذاعة البريطانية استخدام قناتيه ذات القدرة العالية بموجب عقد مدته خمس سنوات

أما إيطاليا فقد أطلقت قمرها الصناعي الأول الخاص بالبث المباشر في شهر أفريل سنة 1990 ثم أطلقت قمرها الصناعي الثاني الاحتياطي في سنة 1993 و عليه ثلاث قنوات للبث المباشر، في حين و ضعت أسبانيا خطة لإطلاق قمرين صناعيين عام 1991 ، و نجحت في ذلك حيث بدأ تشغيلهما مباشرة في صائفة 1992 و ذلك بمناسبة الدورة الأولمبية و الاحتفال بمرور خمسمائة عام على اكتشاف كولمبوس للأمريكا ، و قد كان للقمر تسع قنوات خصص منها ثلاثة للتلفزيون الإسباني و هي القنوات الرئيسية في أسبانيا التي يتم التقاطها حاليا في مجتمعات حوض البحر الأبيض المتوسط [7].

و أطلق خلال 1995 عشرون قمرا صناعيا جديدا خاصا بالبث المباشر و يتوقع خبراء التكنولوجيا و المعلومات ازدياد قنوات البث التلفزيوني المباشر بشكل يصبح فيه بالإمكان تحميل أقمار البث المباشر عددا من القنوات قد يفوق 500 قناة خلال عام 2003 و سوف يزداد الطلب العالمي على الاتصالات إلى خمسة أضعاف خلال القرن الحادي و العشرون و المستخدم منها للأقمار الصناعية الخاصة بالبث المباشر سيزداد من 10 إلى 15 مرة ، و ذلك لأسباب تتعلق بالزيادة السكانية و الرغبة المتزايدة للحكومات و القطاعات التجارية في استخدام الاتصالات الحديثة

و نتيجة للتطور المستمر في تكنولوجيا البث المباشر بدأ تشغيل النظام الرقمي (Système numérique) في التلفزيون و كذلك الإنترنت ، و ذلك لتشكيل عالم جديد في الاتصال الجماهيري . و يتأسس هذا الاتصال على الاندماج و تكامل المحتوى الإعلامي . و يعتمد أيضا على الاتصال عن بعد . و يتضمن التلفزيون الأرضي الرقمي بثا مباشرا إلى النزل عبر القمر الصناعي [8].

6_ أياد شاكر البكري ، **" حرب المحطات الفضائية "** ، عمان للنشر والتوزيع ، الأردن ، سنة 1999 ، ص : 41 .

7_ Michel Pascal **; cable ou satellite ; que faut'il choisir** ; p 98

8_انشراح الشال ، **" بث وافد على شاشات التلفزيون "** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص: 54 .

إذ تعرض خيارات كثيرة أمام المتلقي (المستهلك) ، و يتميز هذا النظام بالقدرة على استدعاء المعلومات المساعدة و إحداث التفاعلية ، و في هذا النظام تتحسن خدمات الإنترنت بواسطة الخطوط السريعة الموجهة إلى المنازل.

و علاوة على ذلك تتميز الأشكال الجديدة للتكنولوجيا الرقمية بمجموعة من المميزات أهمها :

1- اختيار أحسن البرامج التي تتضمن المقدرة على إدخال برامج من و إلى العالم .

2- التفاعل الكبير بين الجمهور و الوسيلة مع القدرة على التزويد الآني و التغذية المرتدة في البرامج .

3- وصول أحسن للمعلومات .

4- القدرة على إدارة الأعمال متضمنة الصفقات البنكية و الشراء المباشرة من المنازل .

5- فيديو تحت الطلب .

6- تلفزيون ذو مقدرة عالية (TVHD) .

إن البث التلفزيوني المباشر بواسطة الأنظمة الرقمية نتيجة حتمية لتطور تكنولوجيا الاتصال ، و قد أصبح المواطن ينتقل بيسر بين المحطات التلفزيونية العالمية دون رقابة و لم يعد البث التلفزيوني عملية ترفيهية ، بل ضرورة قومية لأنه يسهل تغطية البلاد الشاسعة و التي يصعب وصول الإرسال التلفزيوني إليها بسبب العوائق الطبيعية و تتجه كثير من دول العالم إلى الاستفادة من هذه التكنولوجيا من خلال إنشاء المحطات الفضائية و نشر ثقافتها الوطنية و مقاومة الثقافات المضادة ، بالإضافة إلى إمكانية الاستفادة منها في المجالات التعليمية و التربوية و الاقتصادية و يأتي ذلك من خلال القنوات المتخصصة [9].

و إذ رجعنا إلى الحديث عن تحديد مفهوم " تكنولوجيا البث الفضائي المباشر " فإننا مع بداية منتصف التسعينات من القرن الفارط نجده يشمل مجموع وسائل و معدات التكنولوجيا الجديدة للإعلام و الاتصال ، و عندما نقول تكنولوجيا الاتصال فإنما نعني : مجمل المعارف و الخبرات المتراكمة و المتاحة و الأدوات و الوسائل المادية و

التنظيمية و الإدارية المستخدمة في جمع المعلومات و معالجتها و إنتاجها و تخزينها و استرجاعها و نشرها و تبادلها أي توصيلها إلى الأفراد و المجتمعات .

و لعل من أبرز مظاهر هذا التطور التكنولوجي الذي أطلق عليه البعض إسم " الثورة الخامسة " ذلك الاندماج الذي حدث بين ظاهرتي تفجر المعلومات و ثورة البث الفضائي للاتصال ، و يتمثل المظهر البارز لتفجر المعلومات في استخدام الحاسب الإلكتروني في تخزين و استرجاع خلاصة ما أنتجه الفكر البشري ، في أقل حيز متاح و بأسرع وقت ممكن أما ثورة الاتصال الخامسة فقد تجسدت في استخدام الأقمار الصناعية الخاصة بالبث التلفزيوني المباشر في نقل الأنباء و البيانات و الصور عبر الدول و القارات بطريقة فورية .

" و قد تطورت في السنوات الأخيرة صناعة الاتصالات السلكية و اللاسلكية ، حركتها عدة ابتكار حدثت نتيجة طلب المستهلكين من جانب ، و دفع التكنولوجيا من جانب آخر . و قد تحدد طلب المستهلكين من خلال ما يلي :

1- الرغبة في الحصول على أكبر عدد ممكن من المعلومات بشكل فوري نتيجة عوامل المنافسة في السوق الرأسمالي .

2- الحاجة إلى توفير قنوات الاتصال الفوري مع الوحدات التابعة لمركز العمل في أماكن جغرافية بعيدة .

9_ طه عبد العاطي مصطفى نجم ، **" البث التلفزيوني المباشر والهوية الثقافية العربية "** ، نحو مستقبل مشرق ، مجلة العلاقات العربية الأمريكية ، عدد خاص عمان ، الجامعة الأردنية ، 2001 ، ص : 153 .

3- الرغبة في نقل الرسائل بسرعة تواكب سرعة حركة المجتمع باستخدام وسائل جديدة مثل البريد الإلكتروني ،و تخزين الصورة و الفاكس السريع .

و من ناحية أخرى أتاحت تكنولوجيا البث المباشر الخدمات التالية لتلبية حاجة المستهلكين :

أولا : ظهور الحاسب الشخصي و التوسع في استخداماته .

ثانيا : أدى امتزاج وسائل الاتصال السلكية و اللاسلكية مع تكنولوجيا الحاسب الإلكتروني إلى إحداث عصر جديد للنشر الإلكتروني ، حيث يتم طباعة الكلمات على شاشة التلفزيون أو منفذ العرض (Terminal) المتصل الحاسب الإلكتروني لكي يتسلمه المستهلك في منزله أو مكتبه ، حيث يقترب مستخدمي النصوص الإلكترونية من المعلومات بالكمية و النوعية التي يرغبون فيها .

ثالثا : ظهور التكنولوجيا الجديدة في مجال الخدمة التلفزيونية مثل خدمات التلفزيون التفاعلي عن طريق الكابل و الذي يتيح الاتصال ذو اتجاهين ، و يقدم خدمات عديدة مثل التعامل مع البنوك و شراء السلع و تلقي الخدمات الخ

رابعا : ظهور العديد من خدمات الاتصال الجديدة مثل الفيديو تكس ، و البريد الالكتروني ، و الأقراص المدمجة الصغيرة "[10] .

4_الفضائيات الأجنبية في المنطقة العربية :

10_ عبد المجيد شكري ، **" تكنولوجيا الاتصال "** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر 1997 ، ص: 11 .

و في محاولة لرصد تطور عملية البث التلفزيوني المباشر في العالم العربي نجد أن عملية الاستقبال مرت منذ منتصف الثمانينيات بفترات تردد ، و هذا ما أدى إلى محدودية استقبال ما كان يرد من البرامج الأجنبية و حصره في فضاءات الفنادق و السفارات و الإدارات إضافة إلى بعض الأفراد . و ترجع هذه المحدودية إلى عوامل قد يكون أهمها التخوف من سلبية التأثير في مواقف و سلوك المشاهدين ، و تعتبر سنة 1990 موقعا زمنيا ذا دلالة في تاريخ اتساع الحقل الاجتماعي للتعامل مع القنوات الفضائية بواسطة الهوائيات المقعرة ، و لقد فسر البعض تفجر هذا الاهتمام بالحدث السياسي الذي هز العالم إعلاميا حينما اندلعت حرب الخليج و الذي مثل دافعا أساسيا لاستقبال ما كان يرد من الصورة عبر الأقمار الصناعية [11].

و تعتبر فرنسا في مقدمة الدول الأوروبية السباقة في مجال البث التلفزيوني الفضائي المباشر المستهدف للوطن العربي ، حيث عملت منذ مؤتمر جنيف سنة 1977 الذي نظم عملية الاستفادة من استغلال الفضاء في مجالات الاتصالات ، أما الأقطار العربية الأكثر تعرضا لإرسال البث التلفزيوني الفضائي هي الواقعة في شمال إفريقيا (المغرب ، تونس ، الجزائر) يليها ليبيا ، مصر و الدول العربية في شرق البحر الأبيض المتوسط : سوريا ، لبنان و الأردن ، علما أن هذا لا يمنع وصول الإرسال المباشر إلى بقية الأقطار العربية ، إذ تصلها برامج القنوات الأولى (TF1) و القناة الثانية (F2) و الثالثة (F3) و القناة الخامسة (La5) الفرنسية و برامج المؤسسة الإسبانية العمومية للتلفزيون و برامج القناة الأولى لشبكة راي (Rai –1) الإيطالية عبر القمر الصناعي الأوروبي و القناتية البريطانيتين (Sky Channel) و سيبر شنال (Super Channel) و القناتين الألمانية (Sat–1) و (Sat–2) كما يمكن التقاط أكثر من 30 برنامج تلفزيوني من دول المغرب العربي و مصر و بواسطة هوائيات لا يزيد قطرها عن 75 سنتيمتر [12] .

و تقوم أجهزة الاستقبال التلفزيوني (المقعرات) في مصر حاليا بالتقاط بث القنوات الفرنسية و الإيطالية التي تصل من خلال قمريها الصناعيين ، و هناك اتجاه في المغرب يهدف إلى السماح للبث التلفزيوني الأجنبي الواصل عبر أقمار البث المباشر بينما تنفرد تونس حاليا بوضع خاص بين الأقطار العربية ، فمنذ عام 1960

فتحت أبوابها لاستقبال الإرسال الأجنبي بل و عمدت إلى تعزيزه عندما سمحت لهيئة التلفزة الإيطالية أن تقيم هيئة لتقوية الإرسال و بث البرامج الإيطالية من العاصمة التونسية مباشرة[13] .

و تستقبل تونس حاليا أكثر من 21 قناة تلفزيونية فضائية أجنبية من خلال أقمار البث المباشر منها القنوات الفرنسية الثانية و الخامسة و السادسة و القناة الأمريكية (CNN) و الشبكة الدولية (Word Net) و المحطة الألمانية (Sat-1) و القناة الأوروبية الرياضية (Eurosport) و تبث من خلال القمر الصناعي الفرنسي الأول TDF1

و تعد المملكة العربية السعودية من إحدى أهم دول الخليج العربي و أكثرها حجما و تأثرا بظاهرة البث الفضائي المباشر ذلك أن الانتشار الكبير للهوائيات المقعرة لم ، و يذكر أن انتشارها بين العامة من الناس في المملكة العربية السعودية انطلق في عام 1990 ، أما استخدام هذه الهوائيات قبل هذا التاريخ فكان مقتصرا على الوزارات و الشركات و الأفراد ممن لهم حق القرار السياسي ، إن هذا الانتشار الواسع للفضائيات الأجنبية في المملكة كما يذكر يخالف تماما لوائح تنظيم الاستقبال التلفزيوني الفضائي التي تنظم و تحدد القواعد و الضوابط اللازمة لاستقبال البث التلفزيوني الفضائي التي وضعت بتاريخ 25 ديسمبر 1994 و تنص على أن يتلاءم البث الأجنبي مع القيم الدينية و الثقافية و الاجتماعية في البلاد[14] .

و تجدر الإشارة مرة أخرى إلى أن البرامج المبثوثة من قبل المحطات الأوروبية و الأمريكية و حتى الهندية و التركية يشعر بها جزء من العالم العربي كنوع من التهديد للقيم الأخلاقية ، و من جهة أخرى و كرد فعل

11_ توفيق يعقوب ، **" الهوائيات "** ، مجلة الإذاعة العربية ، اتحاد إذاعات الدول العربية ، العدد الأول ، 1997 ، ص : 35_36 .
12_سعد شعبان ، **" الأقمار الصناعية وسفن الفضاء "** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 1998 ، ص : 54_56 .
13_ توفيق يعقوب ، مرجع سبق ذكره ، ص : 39

استخدمت المحطات الفضائية لتأكيد و تثبيت و حماية الهوية الثقافية و محاولة الإشراف على قيمها الحضارية بطريقة مشابهة لم تقوم به عندما لم تكن التلفزيونات المحلية سوى أدوات للدعاية .

5_أوضاع البث الفضائي و الفضائيات العربية:

" عرفت المنطقة العربية تطورا سريعا للبث الاذاعي والفضائي خلال العقدين الأخيرين بفضل تطور الخدمات و التسهيلات الهندسية التي مكنت من تنامي عدد القنوات الرقمية الواضحة منها والمشفرة :

5_1 الأقمار الصناعية العربية :

أ_ عرب سات Arabsat : أنشأت شركة " عرب سات " بقرار من دول الأعضاء في جامعة الدول العربية سنة 1976 وتتحكم الآن في أربعة أقمار صناعية تغطي كامل منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا بالسواتل التالية : Arabsat_ badr-3 _ badr-4 _ badr-6 ويوجد مقر عرب سات بالرياض وتصصدر المملكة العربية السعودية قائمة المستهمين .

ب_ النيل سات Nilesat: تأسست النيل سات في يوليو 1996 وهي شركة استثمار مصرية تتحكم في قمرين صناعيين Nilesat-101 _Nilesat-102 وتفيد أخر المعطيات أن النيل سات يؤمن إعادة بث 385 قناة رقمية تلفزيونية و 98 قناة إذاعية .

5_2 القنوات الفضائية العربية وتصنيفها :

14 _ اتحاد إذاعات الدول العربية ، نقلا عن : www.arabsat.com

يبلغ عدد الهيئات العربية التي تبث القنوات الفضائية أو تعديد بث قنوات فضائية على شبكاتها 116 هيئة منها :

- 24 قناة حكومية
- 92 قناة خاصة تمتلكها وتديرها رووؤس أموال عربية
- حوالي 79 قناة ذات البرمجة المتنوعة
- حوالي 290 قناة متخصصة في الأصناف التالية :
- أطفال 20
- أخبار 29
- سينما_ دراما_ مسلسلات : 45
- تجارية_ اقتصادية : 23
- ثقافية _ تعليمية : 19
- دينية : 9
- تفاعلية : 9

تعتمد جل القنوات الفضائية على نظام البث المفتوح وتكون بعض القنوات مشفرة عندما تكون ضمن باقة من القنوات [15] .

يشهد العالم العربي الغزو الثقافي القادم من الفضاء تمثل بخلق وسائله الإعلامية و ذلك بإحداث قنوات فضائية خاصة به هدفها الرئيسي استقطاب المواطن العربي الذي أصبح عرضة للقنوات الأجنبية ، مما قد يؤدي هذا حتما إلى انسلاخه و اغترابه ، ففي أفريل سنة 1991 بعد انتهاء حرب الخليج انطلقت من لندن محطة MBC التي

سرعان ما فرضت نفسها نتيجة للحاجة لمثل هذه الوسيلة الإعلامية و لنوعية برامجها ، بدأت بثها انطلاقا من القمر الأوروبي أوتيل سات 2 (Eutel-Sat2) الذي أضيف إليه عرب سات ، و هو أول قمر صناعي عربي للبث المباشر أطلق في عام 1992 .

و من ثم قمر سات كوم (أوف 2 ر) (Sat Com Of2R) لتتيح تغطية جيدة للعالم العربي و لأوروبا و لأمريكا الشمالية في نفس الوقت ، و بعد عام أعقب إنشاء محطة " ام بي سي " أنشأت محطة تلفزيون عربية مباشرة هي راديو و تلفزيون العرب (Art) ، المتواجدة في روما و التي طورت نمطا جديدا و استغلت مرامي جديدة خاصة و هو حيز تلفزيون القنوات المتخصصة ، و هي تنتج حاليا خمسة برامج موجهة للبلدان العربية (أرت 1 للمنوعات أرت 2 للرياضة ، أرت 3 للأطفال ، أرت4 للأفلام ، أرت5 للموسيقى الكلاسيكية العربية) و ثلاث قنوات إضافية موجهة لمناطق جغرافية خارجية أي أوروبا و إفريقيا و أمريكا [16].

"و في نفس الوقت انطلقت محطتان عربيتان للاستحواذ على مشاهدي الهوائيات المقعرة من مناطقهما الجغرافيا و هما محطة دبي و محطة مصر الفضائية (ESC) و تبعتهما محطات التلفزيون الفضائية المغربية و الجزائرية و التونسية في منتصف التسعينيات مستخدمة القمر الصناعي ليس فقط من أجل شروط بث أفضل تغطية أفضل للأراضي الوطنية فحسب بل و لتتيح لمواطني هذه البلدان المقيمين في أوروبا البقاء على اتصال دائم مع بلدانهم الأصلية ،و نفس التطور حصل في لبنان و سوريا و الأردن و اليمن و ليبيا و السودان و موريطانيا و بقية الدول الخليجية بالطبع كما هو الحال في البحرين و عمان و الشارقة .

15 _ سعد شعبان ،**" الأقمار الصناعية وسفن الفضاء "** ، مرجع سبق ذكره ، ص: 63 .

و في سنة 1996 برز توجه أو اتجاه جديد هو إيجاد محطات عربية متخصصة للبث الواسع عبر الأقمار الصناعية و لكن هذه المرة نحو البلدان العربية و هكذا ظهر في أواخر عام 1996 انطلاقا من قطر قناة الجزيرة تبعتها عام 1997 محطة الإمارات المتحدة (اي بي سي) (EBC) التي تطمح كما يوحي اسمها إلى منافسة أم بي سي "[17].

6_البث التلفزيوني المباشر (حالة الجزائر) :

دخلت الجزائر ميدان البث التلفزيوني " الفضائي " المباشر رسميا منذ منتصف الثمانينيات و ذلك من جراء إطلاق فرنسا لقمرها الصناعي الأول (TDF1) الخاص بالبث المباشر في أكتوبر من سنة 1985 ، و لم يكن المختصون في الثمانينيات يتوقعون أن عملية البث بواسطة الأقمار الصناعية ستتطور بهذه السرعة ، إذ من العقبات التي كانت تشد أنظار المختصين و المهتمين بقطاع صناعة الأقمار الصناعية للبث التلفزيوني المباشر هي صعوبات

16 _ جان ميشال ديمون ، **" الشبكات الفضائية ودورها في التفاعل الثقافي الحضاري العربي الأوربي "** ، الإعلام العربي_ الأوربي ، مركز [9] الدراسات العربي ، 1998 ، ص: 117 .

17_ جان ميشال ديمون ، مرجع سبق ذكره ، ص : 123

18_ حجازي مصطفى،" **حصار بين القنوات الفضائية و الدعوات الأصولية**"، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص:67 .

19_ عبد الوهاب بوخنوفة ،**" هل التلفزيون المحلي مكان على مجرة تلفزيونات العرب "** مجلة الاذعات العربية، العدد 3 ، ص : 187 .

تقنية و تكلفة أجهزة الاستقبال و خاصة الهوائيات المقعرة ، فلم يكن بوسع المتلقين التقاط البرامج التلفزيونية بواسطة الأقمار الصناعية إلا بتوفر شروط أو ظروف مساعدة و في مقدمتها هوائي مقعر يزيد قطره عن متر [18].

" من هناك كانت عملية الاستقبال في الجزائر مقصورة . في البداية . على وضعيات معينة أو أماكن عمومية مثل دور السينما و قاعات الحفلات ، و قد كان رياض الفتح بالجزائر العاصمة السباق لهذا النوع من الاتصال التلفزيوني حيث جهز بهوائي كبير مكنه من التقاط أربعة قنوات تلفزيونية و هي : راي الإيطالية ، ميوزيك بوكس الألمانية (Music Box) ، TV5 الفرنسية و قناة أوربا (Europa) .

و قد بلغ ثمن الهوائي المقعر في فرنسا في أفريل 1985 حوالي 15000 فرنك فرنسي و هو ما يعادل 12 مليون سنتيم جزائري بالإضافة إلى تكاليف الجمركة و النقل ، و هذا ليس في متناول جميع المتلقين في فرنسا و لا سيما الجزائر ، هذه الوضعية جعلت امتلاك الهوائيات المقعرة في البداية وقفا على المؤسسات العامة و كذلك الفئات الميسورة اجتماعيا لينتشر فيما بعد بفضل الاتجاه إلى إنتاج الهوائيات المقعرة الصغيرة ذات الاستعمال الفردي و الجماعي و الأسعار الميسرة في ظل تنافس شركات صناعة التلفزيون و ملاحقه "[19].

و اليوم تأتي الجزائر في مقدمة بلدان العالم الثالث من حيث اقتناء الهوائيات المقعرة و تعتبر سوقا حقيقية لترويج وسيلة الاتصال هذه و مازال نطاق سوقها في اتساع مستمر ، الأمر الذي جلب اهتمام شركات الإنتاج المصنعة لهذه الهوائيات والتي ظهرت بوادره خلال التسعينيات من القرن الفارط ، كما أن سهولة انتشار تداول الهوائيات و الانخفاض المستمر لأسعارها يعود بالأساس إلى الفراغ القانوني في هذا المجال ، و من الطبيعي أن تكون الأرضية الأساسية و نقطة الارتكاز المحورية هي التعرف على واقع الجمهور الجزائري الذي بات يتمتع بحرية التنقل بين عشرات القنوات الفضائية العامة و المتخصصة الرقمية و غير الرقمية (التماثلية) بفضل الثورة التكنولوجية الهائلة التي تعم أرجاء المعمورة بوجه عام و الجزائر على وجه الخصوص ، نظرا لموقعها الجغرافي و لكونها استقطاب الأقمار الصناعية الموجهة .

مع الثورة الرقمية الجديدة أصبح المواطن في الجزائر بإمكانه التقاط مئات القنوات الفضائية ، مع ملاحظة أنه بإمكانه أن يلتقط بعض القنوات على أكثر من قمر صناعي لأن كل قمر يرتبط إرساله بمنطقة جغرافية محددة لذلك تلجأ بعض القنوات لتوسيع شبكة إرسالها أو مناطقها الجغرافيا إلى تأجير قنوات الكثير من الأقمار الصناعية فمثلا قناة MBC تبث إلى الجزائر (و المغرب العربي أيضا) عبر القمر الصناعي أوتلسات واحد (Eutelsat-1) و القمر الصناعي عرب سات واحد (Arabsat-1)[20] .

و كذلك نفس الشأن بالنسبة للقنوات التلفزيونية الفرنسية التي ترد برامجها إلى الجزائر عبر عدة أقمار صناعية أبرزها القمران الصناعيان الفرنسيان و القمر الأوربي Europa .

و للتدليل على ذلك نورد بعض القنوات التي تلتقط في الجزائر بواسطة هوائي مقعر صغير أو فردي و هي :

- القمر الصناعي : 2E ، Astra19 أهم القنوات : CNN-Eurosport – VOX – RTL2
- القمر الصناعي : Eutelsat-1 (1F2,10°E) أهم القنوات : RAIDUE , RAIUNO , TVE
- القمر الصناعي : Eutelsat-1 (1F,16°E) أهم القنوات : Egyptsat , TV Polonia.....
- القمر الصناعي : Eutelsat-1 (1F,13°E) أهم القنوات : Euronews , VIVA , TV5 , DW , MBC
- القمر الصناعي : Telecom (2A,8°W)أهم القنوات : RTL, Arte , F2 , MGM , Canal+, TF1

كما سبق الإشارة فإنه لا يكاد يمر يوم إلا و نشهد فيه ميلاد قنوات فضائية جديدة ، أو إعلان في الجرائد عن الشروع في البث عبر الأقمار الصناعية و تحديد كيفية التقاط برامج القناة و مشاهدة برامجها

إن ظاهرة تنامي التوابع الصناعية أو الأقمار الصناعية و ما تلاه من تطور لعمليات البث التلفزيوني المباشر جعل الكثير من المهتمين يتناولون هذه الظاهرة و مدى شرعيتها في القوانين و المواثيق الدولية[21] .

7_ أقمار البث التلفزيون المباشر و القانون الدولي :

"عندما نبحث في الدراسات و الموضوعات التي تناولت هذه الظاهرة ، نعود إلى تقرير لجنة " شون ماك برايد " التي نبهت إلى مدى خطورة الموضوع منذ سنوات حيث جاء فيها على الخصوص :

و هكذا فتحت توابع الاتصال الصناعية بطاقتها المذهلة و الزيادة السريعة في عددها و الأهم من ذلك بفضل تظافر استخدامها مع الحاسبات الإلكترونية و التلفزيون آفاقا جديدة واسعة النشاط كما أن إمكانات تطورها ضخمة و لا يقتصر الأمر على تلك الإمكانات ، ذلك أن ازدياد عدد الدول المهتمة باستخدام التوابع الصناعية للاتصالات الداخلية و الدولية يدفعنا إلى تأكيد الحاجة إلى مناقشة أكثر اتساعا و إلى حلول أسرع لمشكلات كثيرة ذات طبيعة قانونية و مالية و اقتصادية و اجتماعية و نفسية و ثقافية و سياسية .

كما أن منظمة اليونسكو قد أشارت إلى هذا الموضوع من خلال إعلان المبادئ الخاصة باستخدام الإذاعة (الراديو و التلفزيون) و الذي قدمته و اعتمد في عام 1972 ينص على ما يلي : " تخدم الإذاعة بواسطة الأقمار

20_ حسين شفيق،" **الإعلام التفاعلي، ثورة تكنولوجية جديدة في نظم الحاسبات و الاتصالات**"، دار الفكر و الفن للطباعة و النشر،2008 ، ص:76.

21_ عبد القادر بوخنوفة ، مرجع سبق ذكره ، ص : 154 .

الصناعية سيادة جميع الدول و تساوي بينها ،و أن هدف الإذاعة هنا هو أن تكفل أوسع انتشار ممكن بين الشعوب العالم لأبناء جميع الدول المتقدمة و النامية على السواء . و أنه ينبغي للبرامج الثقافية أن تسعى لإثراء جميع الثقافات و أن تحترم الطابع المميز لكل ثقافة و قيمها و كرامتها و حق جميع البلاد و الشعوب في المحافظة على ثقافتها بوصفها جزءا من تراث الإنسانية المشترك .

كما تضمن هذا الإعلان أيضا المبدأ الذي يشير إلى تشجيع عقد اتفاقيات بشأن البث التلفزيوني المباشر إلى غير سكان الدولة التي تبث البرامج ، و صوتت الجمعية العامة لصالح هذا الإعلان .

كما أن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (القرار 92/37) المعتمد في ديسمبر 1985 نص على :

" كل دولة تعتزم إنشاء خدمة تلفزيونية دولية مباشرة بالأقمار الصناعية أو التسريح بإنشائها أن تخطر فورا الدولة المستقبلة باعتزامها هذا و الدخول سريعا في تشاور مع أي من تلك الدول التي تطلب ذلك (المادة العاشرة من القرار / فقرة 13) " . و أضاف القرار " لا تنشأ خدمة تلفزيونية للبث المباشر عبر القمر الصناعي إلا بعد الوفاء بالشروط الواردة في الفقرة أعلاه (الفقرة 13) و على أساس اتفاقيات أو تسويات ، كما تطالب ذلك الوثائق ذات الصلة للإتحاد الدولي للاتصالات السلكية و اللاسلكية . و رغم هذه القرارات أو الإعلانات فإن عملية انتهاك هذه القرارات ما زالت متواصلة و هذا ما أدى إلى انتهاك سيادة الكثير من الدول و خاصة البلدان النامية " [22].

التي بات فضاءها قبلة لموجة كبيرة من القنوات الفضائية ، التي تبث مضامين لا تتماشى في الغالب مع عمليات تغيير و التنمية الجارية فيها ، و تساهم بشكل كبير في عمليات التغريب و المساس الكبير بالهوية و الشخصية

22_ حسين حافظ أسماء، "**تكنولوجيا الاتصال الإعلامي التفاعلي في عصر الفضاء الالكتروني المعلوماتي و الرقمي**"، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر و التوزيع،2005، ص : 78 .

الوطنية ضمن مخطط عالمي يسعى إلى " تحديث النماذج الثقافية المحلية " و إلى أمركة العالم . و هو ما سيتضح في هذه الدراسة من خلال الفصول اللاحقة التطبيقية [23].

8_ قواعد حماية حق الجمهور وأخلاقيات البرامج :

تفرض وثيقة تنظيم البث الفضائي على هيئات البث ومقدمي البرامج مجموعة من الواجبات التي من شأنها الارتقاء بمستوى الأداء المهني و الأخلاقي للبرامج التلفزيونية الفضائية نذكر منها الأهم ما يخدم موضوعنا القنوات الفضائية والهوية :

_ ضمان حق المواطن العربي في متابعة الأحداث الإقليمية والوطنية ، والدولية الكبرى وخصوصا الرياضية منها

_ احترام كرامة المواطن وحقوق الأخر ومحتويات البرامج والخدمات المعروضة .

_ احترام خصوصية الأفراد والامتناع عن انتهاكها بأي صورة من الصور .

_ الامتناع عن بث كل شكل من أشكال التحريض على العنف والإرهاب .

_ الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية للمجتمع العربي ومراعاة بنيته الأسرية وترابطه الاجتماعي والامتناع عن الدعوات الطائفية و المذهبية .

_ الامتناع عن كل ما يسيء إلى الذات الإلهية و الأديان السماوية و الأنبياء والرسل ومختلف الرموز الدينية .

_ الامتناع عن بث وبرمجة المواد التي تحتوي على مشاهد فاضحة أو حوارات إباحية أو جنسية صريحة .

_ الامتناع عن بث المواد التي تشجع على التدخين والمشروبات الكحولية مع إبراز خطورتها .

والمقصود بالعنصر الأخير الإعلانات والومضات الاشهارية التي تبيح للإعلان عن المشروبات الكحولية ، أما التدخين فهو يختلف من منطقة إلى أخرى [24].

23 _ ميثاق الشرف الإعلامي العربي ، " جامعة الدول العربية " ، 1981 . أنظر : www/casting satellite_dbcs

9_ القنوات الفضائية و بذور الأزمة :

لقد كان لتعميم المنافسة مع القنوات الفضائية الأجنبية و القنوات الفضائية العربية العمومية و الخاصة ، أن دخلت القنوات المحلية (الأرضية) في أزمات متعددة : أزمة تسيير و أزمة هوية و أزمة علاقة بالجمهور و هذه التغيرات ترد إلى التحولات المتعددة للسياق الذي تعمل فيه هذه القنوات ، فالقنوات الأرضية في كل البلدان العربية تعيش اليوم أوضاعا حرجة خاصة على الصعيد الإنتاج و مع تزايد الانتقادات العرض والتغطية الإعلامية ،أو على صعيد أزمة العلاقة التي تربط هذه القنوات بالجمهور و تهميش انشغالات هذا الأخير التي تأتي في آخر سلم اهتمامات القائمين على هذه القنوات ، أو على صعيد تنظيم و التسيير (هيمنة الإداري و السياسي و السلطوي على الإعلامي) في هذه القنوات مما يقلل من حرية المبادرة لدى القائمين عليها و يحولها إلى جهاز إداري ثقيل الحركة و غير قادر على مسايرة الأحداث .

إذا كان التلفزيون المحلي في المجتمعات المتقدمة لم يعد اليوم ظاهرة هامشية و إنما أصبح مطلبا يستجيب لتطلعات و حاجيات قائمة ، فقد عرفت أوربا و إسبانيا على الخصوص اهتماما متزايدا بالمحطات التلفزيونية المحلية منذ مطلع الثمانينيات ، فإن المشهد السمعي البصري في البلدان العربية يتميز بخاصية أساسية قد لا نجد

24 _ اتحاد إذاعات الدول العربية : www .wipo.int

لها مثيلا في البلدان الأخرى و تتمثل هذه الخاصية في التهميش وعدم الاعتراف بفضاء عمومي للتعبير و الاتصال السمعي البصري " محلي و جواري " حيث نلاحظ غياب الإدارة السياسية لتطوير التلفزيون المحلي في معظم البلدان العربية تقريبا .

إن غياب المحلي في المشهد الإعلامي في البلدان العربية يمكن أن يفسر كنتيجة لارتباط وسائل الإعلام بالسلطة المركزية و هيمنة المركزي حتى أصبح التلفزيون الوطني مقترنا بالدولة الوطنية أو " الدولة الأم "

و على صعيد آخر فإن حضور " المحلي " في القنوات الأرضية كان و لا يزال حضورا سطحيا و ظرفا شديد الارتباط بالمناسبات السياسية و نشاط المسؤولين على هرم السلطة المركزية ، حيث بات وجود الكاميرا في منطقة من المناطق مؤشرا على وجود شخصية سياسية تزور المنطقة فكاميرا التلفزيون لا تزور المناطق المحلية إلا إذا رافقت زيارة مسؤول في الدولة أو تعرضت هذه المناطق لكارثة طبيعية ...

و يشير نصر الدين العياضي " إلى وسائل الإعلام الوطنية تجعل من زيارة مسؤول ما في الدولة إلى منطقة من المناطق المحلية هي الحدث بالمفهوم الإعلامي و ليس ما حدث أو وقع بالفعل " .

إن ربط المشاهد بواقع وطنه أو مجتمعه يبدأ في الواقع من القاعدة ، فالمجتمعات المحلية هي الأساس الذي تنطلق منه عملية التنمية و نجاح السياسات في المجالات المختلفة يتوقف أو يقوم بالأساس على نجاحها أولا على المستوى الوطني [25].

10_ ضوابط متعلقة بالحفاظ على الهوية العربية :

أصدر ميثاق الممارسة الإعلامية في المنطقة العربية ضوابط يجب الالتزام بها أثناء بث البرامج و كذا العمل بها أثناء ممارسة العمل الإعلامي، للحفاظ على السلم الاجتماعي والوحدة الوطنية و المحافظة على الآداب العامة

---

[25]_ عزي عبد الرحمن ، السعيد بومعيزة ، **" الاعلام والمجتمع _ رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية و الاسلامية "** ، الورسم للنشر والطبع ، ص : 115 .

وتقتضي مراعاة هذه القواعد عند وضع شبكات البرامج التلفزيونية لكي لا تكون على حساب حرية الإبداع وبقية الحريات الفكرية وكذا لا تتجاوز المبادئ العامة والمعايير الأخلاقية .

أثناء البث الفضائي يجب الالتزام بصون الهوية العربية من التأثيرات السلبية للعولمة و الحفاظ على اللغة العربية و الامتناع عن بث كل ما يتعارض مع توجهات التضامن العربي ، و عليها أيضا الالتزام بإبراز الكفاءات والمواهب العربية و عدم تناول الرموز الوطنية بالتجريح ، و أكثرها وضوحا بخصوص اللغة العربية : " يحافظ الإعلاميون العرب على سلامة اللغة العربية وبلاغتها ويصونونها من مزالق العامية ، ويعملون على نشرها لتحل محل اللهجات العامية " [26].

[2]6 _ مقال صدر بمجلة الاذاعات العربية ، عدد الأول ، 2008 ، ص : 17 .

خـاتـمـة :

يعتبر التلفزيون بتقنياته الحديثة من أهم وسائل الإعلام المؤثرة على الجماهير التي تلعب دورا كبيرا كونه مؤثرا وفعالا على الأفراد والمجتمعات لا سيما من خلال الاعتماد على مزايا هذه الوسيلة وبالتحديد استخدامها للصورة حيث تملك أضعاف ما تملكه الكلمة، كما إن التنوع في القنوات الفضائية والتنوع في البرامج المختلفة التي تبثها تشكل في حقيقة الأمر تعبيراً عن ثقافة المجتمع أو الدولة أو الجهة القائمة على تلك القناة ،كما أنها موجه إلى العديد من المجتمعات والثقافات الأخرى فان تأثيرها (القنوات) على تلك الثقافات سيكون واضحاً في أحداث تغيير على ثقافة المجتمعات العربية والجزائر على وجه الخصوص وكون الثقافة المحلية انعكاس للتركيبة والبنية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع فان التغيير في الثقافة سيولد تغيير في تلك البنية الاجتماعية .

لقد انتهى عصر الإبداع الفردي الحقيقي في الوسائل السمعية البصرية، وحل محله أشكال مصطنعة، فهدف القنوات الفضائية الأساسي ، بيع المنتجات المعلن عنها، في حين نحن نفقد كل إحساس بالقيم الأخلاقية والروحية لا نكاد ندرك كيف تدار مجتمعاتنا أو حياتنا أو أن العزلة الأنانية التي تحيا بداخلها تؤثر على هويتنا المتأصلة فينا .

_ تحليل و تفسير المقابلات :

- **المحور الأول :**

– السؤال الأول : هل تشاهد القنوات الفضائية بصفة منفردة أم جماعية " أفراد العائلة أو الأصدقاء " ؟

أجاب بعض المستجوبين أن مشاهدة القنوات الفضائية و برامجها تكون في كثير من الأحيان مع أفراد العائلة ويرجع ذلك إلى امتلاك جهاز تلفزيون واحد أو جهازين داخل البيت كحد أقصى وبالتالي المشاهدة تكون جماعية خاصة في فترة المساء ، و حتى إن كانت المشاهدة فردية تكون بعد فترة الظهيرة أو في فترة الصباح لأنها تسمح لهم بمتابعة البرامج بحرية ، واختيارها يكون بحسب أذواقهم ورغباتهم أين يكون بقية الأفراد منشغلين ، وفترة الصبيحة تسمح لهم بإعادة جل البرامج التي لم يتابعوها في أيام الأسبوع.

أما المستجوبين السابع " م ، ع " والتاسع " ع ،ب " فهما يملكان جهاز تلفزيون فردي داخل الغرفة وتكون مشاهدتهما للقنوات الفضائية منفردة ، وأنهما نادرا ما يتابعان حدث ما مع أفراد العائلة ، أو مع الأصدقاء عندما يكون البرنامج عبارة عن مباريات لكرة القدم .

كذلك صرحت المستجوبة الخامسة " ل ، ف " والسادسة " ب ، ك " أنهما تفضلان مشاهدة القنوات بصفة منفردة دائما ماعدا الحالات الاستثنائية أين تكون العائلة مجتمعة حول حدث وطني بارز ويعود سبب تفضيلهما للمتابعة الفردية لشعورهما بالحرية في اختيار الأفلام والمسلسلات حسب أذواقهما بدون قيود أو اعتراض من قبل أحد أفراد العائلة .

وصرح بعض المستجوبين أن مشاهدتهم للبرامج تكون مع أفراد العائلة ليس اختيارا وإنما يرجع ذلك في امتلاك " الوالدين لجهاز خاص بهما و جهاز لبقية أفراد الأسرة " و أنهم يكونون مرات مجبرين على مشاهدة البرامج مع بقية الأفراد ، حتى وان كان المضمون لا يتوافق مع رغباتهم .

وحسب إجابات عينة الدراسة يكون الإقبال على برامج الفضائيات خلال فترة المساء و السهرة وذلك لأن الشباب الجامعي يكونون مشغولون بالدراسة في فترة الصباح ولأن الفترة المسائية تكثر فيها البرامج والمسلسلات والمنوعات المختلفة .

– السؤال الثاني : بالنسبة لعدد الساعات التي يقضيها المبحوثون أما شاشة التلفزيون لمتابعة القنوات الفضائية وكذا أيام مشاهدة تراوحت حسب متغير الإقامة الحالي، و هي موزعة على الإقامة في الحي الجامعي أو المنزل .

فالمستجوبون المقيمون بالحي الجامعي تكون متابعتهم للقنوات تقريبا منعدمة أيام الأسبوع لعد توفر جهاز الاستقبال والتلفزيون بغرفهم داخل الإقامة ، و تم سؤالهم عن عدم اعتمادهم على تلفزيون الإقامة فرجع سبب ذلك أنهم لا يفضلون المتابعة الجماعية مع الطلبة لعدم الاتفاق على نفس البرنامج وكذا الفوضى العارمة والضجيج المرتفع أثناء مشاهدة التلفزيون وبالتالي يرون أنها مضيعة للوقت ولن يستفيدوا من هذه المتابعة شيئا لكن هذا لا يمنعهم من متابعة التلفزيون أيام العطلة خاصة الخميس ليلا ويوم الجمعة لاسترجاع البرامج التي لم يتم مشاهدتها .

وصرح المستجوب السادس " م ، ع " أنه يملك جهاز تلفزيون داخل الغرفة بالإقامة الجامعية لارتباطه الشديد ببعض البرامج خاصة الرياضية و كذا تفضيله متابعة الأفلام في الفترة المسائية ،خاصة من الساعة السادسة

إلى غاية منتصف الليل فهو مرتبط بالقنوات يوميا و تكون ساعات المشاهدة مرتفعة في أيام العطلة مقارنة بأيام الأسبوع ، فهو يرى أنها تشغل أوقات فراغه و لا يجد بديلا عنها خاصة يوم الجمعة .

أما المستجوبتين " ل ،ف " و " م ، ر " المقيمتين بالإقامة الجامعية تتابعان مرات القنوات الفضائية مع الطالبات لأنهن لا يجدن بديلا عن ذلك خاصة لما يتعلق البرنامج بمسلسل ما يكون متابع من قبل الطالبات ، أما في المنزل فهما تتابعان التلفاز كثيرا أيام العطلة ، وتفسران ذلك لرغبتهما في متابعة الأحداث والبرامج التي فوتوها أثناء تواجدهم بالإقامة أما عن عدد ساعات تواجدهم أمام جهاز التلفاز بعد انتهاء السنة الجامعية تكون بصفة يومية ولساعات تتراوح من أربع الى ست ساعات يومية .

يرى معظم المبحوثين أن الدراسة تفرض عليهم متابعة القنوات في الفترة المسائية في الغالب أما أيام العطلة يتابعون الفضائيات في فترة الصباح وكذا بعد الظهيرة و لساعات طويلة ، وعدد الساعات تراوحت من ثلاث إلى خمس ساعات يوميا .

احتل يوم الخميس المرتبة الأولى بين أيام الأسبوع جميعها من حيث كثافة الإقبال على برامج القنوات ثم جاء يوم الجمعة في المرتبة الثانية وهذان اليومين للراحة الإجبارية و طبيعي يتمركز الطلبة أمام شاشة التلفزيون ، فلا يجد هؤلاء أفضل من التلفزيون وسيلة إعلام وترفيه في أوقات فراغهم ، ويأتي يوم الأربعاء في المرتبة الثالثة والاثنين في المرتبة الرابعة من حيث كثافة المشاهدة .

أما الأيام التي تقل أو تنخفض فيها المشاهدة فهي يوم الأحد ثم الثلاثاء .

من خلال أجوبة المستجوبين لا يظهر خلاف بين الذكور والإناث في أيام المشاهدة و عدد الساعات بحيث يوجد اتفاق بين الجنسين في أولوية الأيام المفضلة وكذلك الساعات الطويلة التي يتم قضاءها في متابعة البرامج التلفزيونية .

– السؤال الثالث : يتعلق بنوعية القنوات الفضائية التي يتم مشاهدتها وتفضيلها من قبل الطلبة وأهم البرامج التي تلبي رغباتهم ، فكانت أجوبة المبحوثين مختلفة ومتنوعة حسب أذواقهم .

يفضل أغلب المستجوبين القنوات الفضائية العربية على القنوات الأجنبية فقد جاء في مقدمتها القنوات الجزائرية الخاصة كقناة النهار ، الشروق tv، الهقار ، نوميديا نيوز، الجزائرية ، مرجعين سبب اختيارهم لهذه القنوات أنها تهتم بالصالح العام و تغطي الأخبار اليومية الخاصة بالمواطن الجزائري ، وتسلط الضوء على الكثير من القضايا التي كانت ولا تزال مغيبة في القنوات التابعة للقطاع العام ولم يذكر ولا مستجوب ارتباطه بالقنوات الجزائرية العمومية .

جل المستجوبين أبدوا رغبتهم الشديدة في متابعة القنوات الفضائية المحلية الخاصة و أنهم يشاهدونها كثيرا مع بقية أفراد العائلة ويتفقون غالبا على نفس القناة و نفس البرنامج .

اتضح كذلك أن بعض المستجوبين يفضلون القنوات الرياضية المشفرة كالجزيرة وباقاتها ، دبي sport ben وهذا راجع لاهتمامهم بمباريات كرة القدم وخاصة دوري أبطال أوربا ، بحيث يرى المستجوبين " م ، ع " و " ع ، ب " أنهما يفضلان متابعة جل البطولات الرياضة على متابعة القنوات الأخرى وبرامجها بسبب مللهما من متابعة الأخبار والمسلسلات وحتى الأفلام التي صارت تقدم تقريبا نفس المضمون بتغيير الشخصيات فقط .يرى المستجوب الثاني " م ، ب " أنه لا يشاهد إلا بعضا من القنوات قائلا : " منهتمش بكل القنوات و أنا نتفرج برك ثلاث أو أربع قنوات إذا لم أجد فيها شيء نطفي التلفاز و منحوش على قناة أخرى "

فهو يفضل مشاهدة قناة الجزيرة الوثائقية ، النهارtv ، الشروق tv ، الجزائرية فالقناة الأولى تقدم برامج علمية و اختراعات عالمية تسهم في توسيع معلوماته ، أما عن القنوات الجزائرية الخاصة فهو يفضلها بشدة كما صرح باعتبار أنها جزائرية محضة و رغم أنها في بداياتها إلا أنها تحاول نقل الأخبار الوطنية .

والتغطية الشاملة لكل الولايات دون استثناء ، وتعمل على نقل انشغالات المواطن الجزائري والتقرب منه عكس الإعلام التقليدي الذي يغطي أحداث الشخصيات .

ترى المستجوبتين " ب ،ك " و " ل ، ف " أنها تتابعان بكثرة القنوات العربية خاصة قناة mbc وكل باقاتها و تخصان بالذكر mbc بوليود وقناة zee aflam ، لأنهما تفضلان كثيرا المسلسلات الهندية .

جاءت متابعة القنوات الجزائرية الخاصة في مقدمة القنوات المفضلة بالنسبة لمعظم المستجوبين واتضح من أفراد العينة أنهم يفضلون القنوات العربية ودافع تفضيلها يعود إلى القيم والأفكار والثقافة المشتركة والعادات والتقاليد وحتى اللغة ، في حين أن عوامل أخرى هامة تتدخل حسب رغبات وأذواق كل مستجوب و نوعية الموضوعات التي تعالج وطرق و أساليب المعالجة ، واحتلت قنوات MBC المرتبة المرتبة الثانية ثم باقات قنوات الجزيرة خاصة الرياضية المشفرة ، فقد ابدي معظم المستجوبين الذكور اهتمامهم بالجانب الرياضي وخاصة مباريات كرة القدم ، وكذلك اهتمامهم ببرامج المنوعات والأفلام .

أبدت المستجوبتين " س ، ك " و " م ، ف " اهتمامهما الكبير بالقنوات الجزائرية الخاصة كذلك التي سبق ذكرها من قبل المستجوبين الآخرين ، لكن أكدتا ميلهما لقنوات الطبخ خاصة قناة " سميرة tv " ، "فتافيت "و أرجعتا سبب ذلك في اهتمامها الكبير بقنوات الطبخ على اختلاف أنواعه خاصة قناة سميرة التي تقدم الطبخ التقليدي الذي يعكس الثقافة الجزائرية وتعتبرانها القناة المفضلة لديهما لأنها تقدم الجزائر وتعكس عادات وتقاليد الجزائريين في الطبخ .

و أما ما يتعلق بالفضائيات الأجنبية ، اتضح بأن الطلبة يميلون إلى القنوات الفضائية الفرنسية مقارنة بميلهم إلى القنوات الأجنبية الأخرى ، وأبدى المستجوب الأول " غ ، ع " اهتمامه الشديد بالقنوات الفرنسية خاصة : M6 ، Tv 5 monde ، Tfa ، France 2 ، وأنه يشاهد هذه القنوات الفرنسية يوميا تقريبا لرغبته في مشاهدة

البرامج الفكاهية وكذا ميله للقنوات العربية خاصة برامج المواهب إن كان ضمنها متسابق جزائري أو حتى عربي .

وتلعب اللغة الفرنسية عاملا أساسيا في انتقاء القنوات الفضائية وحتى البرامج بين الطلبة بسبب تفضيل بعض المبحوثين للقنوات الأجنبية الفرنسية لتحسين مستواهم في اللغة الفرنسية وأيضا يرون أنها تلبي رغباتهم و ترفع مستوى الذوق العام .

تستأثر البرامج الإعلامية في الفضائيات العربية باهتمام معتبر من قبل أفراد العينة و يليها مباشرة الأفلام الأجنبية المقدمة من قبل الفضائيات العربية ، و تليها المسلسلات خاصة التركية ، كما تحظى البرامج الترفيهية و الألعاب والمنوعات إقبالا معتبرا من قبل أفراد العينة .

أما البرامج الثقافية والعلمية فتستأثر الطلبة بنسبة قليلة جدا سواء في الفضائيات العربية أو الأجنبية .

– السؤال الرابع : محاولة معرفة أسباب ودوافع مشاهدة القنوات الفضائية

هنالك اختلاف جوهري بين الجنسين من الطلبة في هدفهم نحو متابعة القنوات ، فنجد مثلا المستجوبين " ع ، ن " و " ب ، ص " يتمثل دافعهم الأول في مشاهدة البرامج الفضائية للبحث عن التسلية والترفيه من خلال سماع الموسيقى سواء العربية أو الأجنبية ، ومشاهدة الأفلام خاصة أفلام الأكشن ، أما بعض المستجوبين يرون في القنوات الفضائية الوسيلة التي تنقل لهم الأخبار و أخر الأحداث وتجعلهم على اطلاع تام بكل ما يجري من تطورات .

وترى المستجوبتان " ب ، ك " و " م ، ر " أنهما لا تخفيان رغبتهما في متابعة المسلسلات و الأفلام خاصة العاطفية منها لكي تشغلا أوقات فراغهما ، لكن هذا لا يمنعهما من متابعة القنوات العربية ومرات الأجنبية للحصول على المعلومات و المعارف و تعبر على ذلك المستجوبة " م ، ر " : "**تستعرف أن القنوات تقدم أفلام و مسلسلات فيها قصص عكس مجتمعنا** "، لكن لا نخفي الجانب الايجابي لبعض القنوات التي تقدم الاختراعات العلمية و الأبحاث ، وكذلك القنوات الدينية ودورها في التنشئة الإسلامية و كل واحد يختار القناة إلي يشوفها تلبي أذواقه ".

لوحظ من خلال أجوبة جل المستجوبين أنهم على دراية تامة بهدفهم نحو مشاهدة القنوات الفضائية فهم يميلون مرات للتسلية والترفيه للهروب من ضغط الدراسة وحتى مشاغل الحياة اليومية و مرات لملئ الفراغ خاصة بعد انتهاء الموسم الدراسي فهم لا يجدون بديلا عنها ، و بالرغم من ذلك هذا لا يمنعهم من متابعة البرامج والحصص الهادفة ذات التوجه العلمي والثقافي .

- **المحور الثاني :**

السؤال الأول : خلال مشاهدة القنوات الفضائية هل يجد الطلبة حرجا أثناء مشاهدتها مع بقية أفراد العائلة

يرى بعض المستجوبين أنهم يجدون حرجا في متابعة القنوات الفضائية مع أفراد العائلة ، و حتى و إن كانت القناة عربية لكنها تقدم مضمون أجنبي فمثلا ترى المستجوبة " ل.ف " بالرغم من أنها تشاهد القنوات مع أخواتها فقط لكنها تجد صعوبة في متابعة فيلم أو مسلسل حسب ذوقها مع بقية أخواتها ، و إن حصلت المتابعة فإنها تكون شديدة الحرص على المتابعة معهن ، ذلك أن القنوات صارت تقدم مختلف السلوكيات بدون قيود و في جل القنوات ، حتى المشاهد صار يألفها و يتعود عليها .

أما المستجوبين "غ.ع" ، "م.ب" ، "م.آ" أنه أثناء مشاهدة القنوات مع بقية أفراد العائلة فالبرنامج يكون اختياريا من بين القنوات الجزائرية الخاصة فهم يضمنون عدم مشاهدة سلوكيات تحدث حرجا في مشاهدتها مع العائلة

و هذا ما تؤكد عليه أيضا المستجوبة "ب.ك" أنه أثناء فترة المساء أين تكون العائلة مجتمعة يكون الاتفاق على برنامج من بين القنوات الجزائرية الخاصة أو قنوات للطبخ أو حتى قناة عربية إخبارية ، أما أثناء متابعتها لبرامجها الخاصة فهي تفضل مشاهدة مع أختها فهي لا تجد حرجا في ذلك و عبر عن ذلك المستجوبين "م.ع" و "ب.ص" أنه أثناء اجتماع العائلة في الفترة المسائية يكون البرنامج عبارة عن نشرة للأخبار أو حصة جزائرية تكون مختارة من بين القنوات الجزائرية سواء العمومية أو الخاصة .

أما أثناء المشاهدة الفردية فهم يختارون من البرنامج ما يتوافق و رغباتهم خاصة الأفلام و المسلسلات العربية و الأجنبية التي يشاهدونها بصفة منفردة بدون قيود أو حرج ، ويرى المستجوب "م.ب" أن يجد حرجا في العديد من المرات أثناء مشاهدة القنوات الفضائية مع العائلة بحكم امتلاك جهاز تلفزيون واحد داخل الأسرة ، خاصة المسلسلات التركية .

و ترى المستجوبة "س.ك" أنها تجد حرجا كبيرا في مشاهدة البرامج التلفزيونية حتى مع أخواتها معبرة عن ذلك في قولها : إن كنت أنا على دراية تامة أثناء مشاهدتي للمسلسلات أنها قصص غير واقعية و هذا لا يسمح لي بالتأثر بها لكن أخواتي صغيرات بالسن و أخاف أن يكتسبن سلوكيات يعتقدن أنها عادية "معبرة

عن غضبها الشديد من بعض القنوات و خاصة التي توجه للأطفال فحتى هي يجب الحرص على اختيارها اختيارا صائبا فتقول عن ذلك "مرة شفت أختي تغني أغنية و تعمل بيديها حركات على الطريقة الشيعية " فالقنوات التي من المفروض تحافظ على تنشئة الطفل و تقدم له مضمون يتناسب مع سنه صارت تمرر رسائل تدعوا لتبني مذاهب طائفية وتمس العقيدة الإسلامية .

السؤال الثاني : هل القنوات الفضائية تقدم الثقافية العربية من خلال برامجها ؟ و ما هو رأيك في مضمون القنوات الجزائرية و هل ترى أنها تعكس الثقافة الجزائرية ؟ .

على ذكر القنوات الفضائية العربية يرى بعض المستجوبون أنها تعكس الثقافة العربية من خلال المسلسلات السورية مثلا التي تقدم نمط الحياة اليومية و كذا اللباس و طبيعة الأكل و العادات و التقاليد فهم يرون أن الدراما السورية تعكس طبيعة المجتمع السوري فهي تنقل ثقافاته المتعددة و المتنوعة في اللباس ،الأكل و حتى ديكور المنازل ، أما القنوات الجزائرية الخاصة لا تزال في بدايتها و الحكم عليها سابق لأوانه عكس التلفزيون الجزائري رغم الإمكانيات المتاحة إلا أنه لا يلبي رغبات المشاهد الجزائري .

تشير المستجوبة "م.ف" أنها تميل كثيرا للمسلسلات الخليجية و السورية فهي تقدم طابع الثقافة المحلية الخاصة بهما من هندسة المنازل ، الديكور ، اللباس ، الأكل ، و غيرها فهي تظهر المجتمع بصورة جميلة . حتى طبيعة القصص التي تعالجها تمس من خلالها الطبقات الإجتماعية و يرى المستجوب "ع.ب" أن القنوات الفضائية العربية تقدم مضمون متنوع و ذو طبوع مختلفة ويرجع ذلك في اعتماد هذه القنوات على البرامج التركية بنسبة كبيرة فهي تستخدمها لجلب الجمهور لها ، أما عن البرامج العربية فهو يرى أن

المسلسلات الخليجية و الدراما السورية تعكسان طبيعة المجتمع المحلي الخليجي و السوري من لهجة، لباس ، أكل و حتى طبيعة الحياة اليومية فهي لا تعكس الثقافة العربية ، لأن لكل مجتمع ثقافته الخاصة .

أما عن المضمون الذي تقدمه القنوات الجزائرية فيرى المستجوبين "س.ك" ، "ب.ك" ،" ب.ص" أن القنوات الجزائرية العمومية فارغة المحتوى و لا تقدم شيئا مفيد ما عدا نشرة الأخبار التي صار المشاهد الجزائري يتابعها ليس من أجل معرفة الأحداث و إنما عادة تعود عليها بعض الجزائريين في الفترة المسائية أين تجتمع العائلة، و بقية برامجها لا تقدم شيئا فجلها معادة و قديمة .

أما القنوات الجزائرية الخاصة تحاول نوعا ما رفع مستوى الإعلام من خلال تغطية الأخبار المحلية و عرض حصص تعالج المشاكل الاجتماعية و تحاول تسليط الضوء عليها ، فصار المجتمع الجزائري يجد فيها نوعا من الإفادة .

و عن طبيعة الثقافة التي تعكسها القنوات الجزائرية إن كانت تقدم صورة واضحة عن ثقافة المجتمع الجزائري فأجمع جل المستجوبين أن الإعلام الجزائري لا يجتهد أبدا في إظهار طبيعة المجتمع الجزائري و لا يقدم صورة كافية عنه فمثلا من خلال المسلسلات لا يعتمدون على المشاهد التي تنقل ثقافة الجزائريين وكذا تقاليد وأصالة المجتمع،فالبرامج الجزائرية لا تعكس صورة حقيقية عن تنوع تراث الجزائر ،وأجمع معظم المستجوبين أنها بعيدة عن ذلك كل البعد .

فمثلا المسلسلات الجزائرية لا تظهر سوى لهجة المجتمع العاصمي و نمط الحياة في العاصمة أما مواضيع الأفلام و المسلسلات صارت مألوفة عند المشاهدين فهي تعرض الحياة اليومية و لا تعكس ثقافة الجزائر المتنوعة كاللباس ، الطبخ التقليدي ، و حتى العادات و التقاليد عند إظهار مناسبة معينة في مسلسل ما .

أبدى معظم المبحوثين تذمرهم الشديد من الإنتاج الجزائري بوصفة بالفارغ . عديم المعنى . لا يجعل المشاهد الجزائري يفخر به و لا يعبر عن هويته التي تميزه عن باقي المجتمعات .

لكن يرى المستجوبين "م،ر" ، "م.ب" أن الحصص الفكاهية تقدم بعضا من الواقع دون عائق بحجة المزاح " و تجعل المشاهد نوعا ما يقبل على متابعتها .

و يعطي المستجوب "غ.ع" مثال عن المسلسلات الجزائرية كمسلسل" قلوب في صراع " الذي قدم باللغة العربية الفصحى فيقول المستجوب" بالرغم من أنه حاول رفع مستوى الذوق العام إلا أنه تلقى ، الكثير من الانتقادات " لأن لغته كانت عربية فصحى .

و يعبر المستجوبين أن الفضائيات العربية أصبحت تعتمد على جمالية الصورة و نقل واقع يندهش من خلاله المشاهد فهي لا تهتم بالمتلقي و إنما تعبئة الجمهور ، و يفسرون ذلك في اعتماد الفضائيات العربية على ترجمة الأعمال الميكسيكية ، و حتى الدراما الصينية و اليابانية التي بدأت تغزو القنوات العربية ،و كذا اعتمادها على ترجمة المسلسلات الأجنبية و خاصة الأمريكية منها.

ترى المستجوب " "م.ر" أن القنوات الفضائية العربية نادرا ما تقدم مضمون يرقى للمستوى المطلوب و يعبر عن الثقافة العربية ، فالأفلام و المسلسلات صارت تقريبا تندرج في قالب واحد و صار المشاهد من خلال متابعته لها يتوقع الأحداث و باقي سيناريو المسلسل و أصبحت القنوات العربية تعتمد كثيرا على الإنتاجات الغربية المترجمة.

أما عن طبيعة المضمون الإعلامي إن كان يعكس هويتنا الثقافية العربية يعبر عن ذلك المستجوب " ب،ص" أن الإنتاج العربي أو حتى الأجنبي صار يخاطب العاطفة و ليس العقل ، فهو يستهدف عواطف المشاهدين للتأثير عليهم من ناحية الوجدان و تجعل الشباب يعايشون قصة الفيلم و تدخله عالم الخيال و تجعله مغترب عن مجتمعه و ترى المستجوبة "ب.ك" انها تقبل على البرامج الفضائية حتى الأفلام و إن

كانت لا تعكس ثقافتنا لكنها تفضل كثيرا الأعمال الغربية لأنها تقدم توصيات و عبر لتجاوزها فكرة المضمون العاطفي و القصص المعتاد عليها ، فهي أكثر إبداع و تجدد .

و لوحظ أن أغلبية المبحوثين يرون أن ما يعرض عبر القنوات الفضائية العربية من برامج و حصص يتنافر في الكثير من الأحيان مع قيمنا داخل المجتمع و ما يقدم عبر شاشات القنوات العربية من أفلام و مسلسلات و أخبار و برامج متنوعة يتعارض في بعض الأحيان مع ثقافتنا و نمط الحياة داخل المجتمع الجزائري

السؤال الثالث : هل مشاهدة القنوات الفضائية تجعلك تنبهر بنمط حياة المجتمعات الأخرى ؟ .

من خلال إجابات بعض المستجوبين كلهم أجمعوا على أنهم لا ينكرون إعجابهم بنمط الحياة في المجتمعات الأخرى ،مثل المجتمع الخليجي ، الأوربي و خاصة الأمريكي .

فمثلا المستوجب "ع.ب" يقول " **لما نشوف في الأفلام الأمريكية تطور المجتمع و احترامهم للغير و التكنولوجيا اللي وصلولها ، مننكرش أني نتمنى نعيش كيفهم** " .

فهو يرى أنها مجتمعات متطورة ، لا تهمش الأفراد ، يعيشون بحرية و حتى عقلياتهم في الحياة تختلف عنا فهم يقدسون العلم و العمل ، يحترمون الوقت ، يعيشون حياة رفاهية (لباس ، أكل ، سيارات ، منازل و سياحة ....) .

فمن خلال البرامج التي يقدمونها يعكسون طبيعة مجتمعهم من كل النواحي و تؤكد على هذه الفكرة المستوجبة "م.ف" أنه عند متابعتها للمسلسلات التركية فلا يخلو أي مسلسل إلا و أعطى صورة عن البلد لتشجيع السياحة و إبهار المشاهد بالمناظر الطبيعية الجميلة .

و يرى المستوجب الثاني "م.ب" أنه لا توجد رسالة إعلامية خالية من هدف أو بالأحرى لا يوجد مضمون إعلامي بريىء فأي قناة أو إنتاج إلا و كان هدفه الأول تعبئة الجماهير و تحقيق غايات الجهة المنتجة

فيرى المستجوب أن جمالية الصورة صارت تؤثر على وعي المتلقي و تجعله دائم الانبهار بالمجتمعات الأخرى .

و يرى المستجوب "غ.ع" أنه لا ينكر إعجابه ببعض الجوانب من نمط الحياة في المجتمعات الغربية خاصة في مجال الإبداع و الابتكار فهم دائمي العطاء و التجدد لكن هذا لا يجعله يضعف انتماءه للوطن و حبه له .

الفضائيات العربية قد عملت على توصيل رسائل هامشية وتافهة ذات مضمون يكرس رؤى الوافد الأجنبي في المجال من التغريب والازدراء بالقيم والعادات والتقاليد المحلية، ومحاولات تسطيح الوعي عند الشباب وشغله بأمور ثانوية، وخلق حاجيات اتصالية وإعلامية بعيدة كل البعد عن الاحتياجات والانشغالات الإنسانية لديه .

السؤال الرابع : هل شعرت يوما بضعف روح الولاء و الانتماء للوطن أي أنك مغترب عن الوطن ؟ .

من خلال هذا السؤال لوحظ على المستجوبين ردات فعل حماسية جلها أجمعت على حبهم للوطن الجزائر و أظهرت هويتهم الوطنية التي لن تتغير فيهم بالرغم من كل الصعوبات و العقبات التي يمر بها الطالب الجامعي أثناء مرحلة الدراسة و بعد التخرج .

و بالرغم من أن القنوات الفضائية تساعد على ، توسيع الفروقات بين المجتمع الجزائري و المجتمعات الأخرى إلا أنهم لا يحبذون فكرة العيش خارج البلد .

يعبر على ذلك المستجوب "م.ع" : "صح تعجبني الدول الأخرى و ننبهر مرات بالحياة عندهم و نحب نسافر و نشوف لكن محال نعيش برات البلاد " ، أي أنه يرغب في السفر و التعرف على البلدان الأخرى و معايشة نمط الحياة الخاص بهم لكن ليس الاستقرار بها بصفة نهائية.

و ترى المستجوبة "م.آ " أنها فعلا ترغب في السفر و تغيير الأجواء و التعرف أكثر على ثقافات الدول الغربية لكنها لم تفكر يوما في هجرة الوطن .

أجمع معظم المستجوبين أن القنوات الفضائية تعمل على تشجيع الشباب على الهجرة و ذلك راجع لعدة أسباب من بينها : تحسين المستوى العلمي و توسيع آفاق البحث العلمي و منهم من يرى أن سبب هجرة الشباب الجامعي من أجل التخلص من شبه البطالة و التهميش الذي يعانون منه في الجزائر .

و يرى المستجوب "م.ب" أن القنوات الفضائية تظهر المجتمع الغربي على أنه جنة موعودة فوق الأرض تتوفر على كل شروط الحياة المريحة و أنها مصدر الربح و الكسب السريع و السهل .

و يؤكد على ذلك المستجوب "ب.ص" أنه بالرغم من كل العقبات التي يواجهها كطالب داخل الجامعة الجزائرية لن يتغير و ينقص من هويته الوطنية .

السؤال الخامس : مضمون القنوات الفضائية صار ينعكس سلبا على العادات و التقاليد الجزائرية حتى صرنا نتناسى بعض المناسبات ؟ ما رأيك ؟ .

أغلبية المستجوبين يوافقون على وجود تأثير للقنوات الفضائية على العادات و التقاليد الجزائرية ،تم تقسيم السؤال إلى شطرين بالنسبة لتأثير القنوات الفضائية على عادات و تقاليد الجزائريين في المناسبات الدينية و الوطنية ، عادات و تقاليد الجزائريين في اللباس التقليدي .

أجمعت بعض المستجوبات أن تأثير القنوات الفضائية صار واضح على مناسباتنا الدينية و الوطنية فمثلا ، المستجوبة "م.ف" تقول " صار الشباب الجامعي يحتفل بعيد الحب يوم 14 فيفري من كل سنة " فصاروا يقلدون هذه الأعياد من الأفلام العاطفية و المسلسلات ، بالرغم أنها غير موجودة في مجتمعنا تماما و ليس لنا صلة بهذه الأعياد ، فالأمة العربية و الجزائر على وجه الخصوص أعيادها الدينية واضحة ، فتجد الشباب الجامعي يجتهد في تذكر الأعياد ذات الأصل الأجنبي و يمارس طقوسها بدون عائق .

و يعبر المستجوبون جميعهم تذمرهم من ممارسة الطلبة لطقوس الاحتفال برأس السنة ا لميلادية على حساب السنة الهجرية ،فنجد الكثير من الطلبة الجامعيين مواظبون على الاحتفال بمثل هذه الأعياد دون عائق يذكر مهملين بذلك المناسبات الدينية ،في حين تعتبر السنة الهجرية من أهم الأعياد و المناسبات الدينية التي علينا الاجتهاد في الحفاظ عليها فتجد القلة من الطلبة يحافظون على هذه الأعياد الدينية ، فالقنوات الفضائية صارت تروج القيم الغربية و تقديم أعياد و طقوس دخيلة على الأسرة الجزائرية و إظهارها على أنها أساس التقدم و الحضارة .

ويرى بعض المستجوبتين أنه لا يجب إغفال دور القنوات والبرامج الدينية الكثيرة التي تعمل على تزويد المتلقي بالمعارف الإسلامية، والمعلومات حول القرآن والسنة النبوية، وأصول الفقه والسيرة النبوية الشريفة وكيفيات التلاوة والقراءات القرآنية، وكذا تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، واتجه معظم أفراد العينة إلى أن الفضائيات الدينية لها دور إيجابي في التوعية وتبقى حرية الاختيار بيد المشاهد .

يرى المستجوب "غ.ع" أن المسلسلات صارت تؤثر بنسبة كبيرة على عواطف الطلبة الجامعيين من خلال المضامين خاصة في الأفلام و المسلسلات ،بحيث تقدم لهم نمط عيش المجتمعات الأخرى تدفعهم لتقليد

مختلف السلوكيات فمثلا تظهر البطل و البطلة في أجمل صورة و أجمل حياة وبالتالي يرغب الطالب في عيش نفس قصة الفيلم .

أما عن العادات و التقاليد في مناسبات الأعراس مثلا يجمع أغلب المستجوبين أنها تغيرت كثيرا عن الماضي فصار العرس الجزائري يجمع بين تقاليدنا و بعض التقاليد الغربية ، فيرى المستجوب " ع.ب" أن المجتمع الجزائري صار يعيش عدة سياقات في سياق اجتماعي واحد ، فهو بين سندا بين : بين الحفاظ على الأصالة و مواكبة المعاصرة ،وتبقى الصورة التي تقدمها الفضائيات عن رفاهية المجتمعات الأخرى ، دافعا للجزائريين يجتهدون من خلالها في إظهار شخصيتهم المادية خاصة في المناسبات .

تقول المستجوبة "ب.ك" أن مناسبات الأعراس كانت قديما طقوسها كلها تقليدية محضة بدون منازع أما الآن صارت الأعراس تقام في قاعات الحفلات و لساعات فقط على الطريقة الغربية، فالجزائر و خاصة منطقة الغرب لها مميزاتها الخاصة في المناسبات و هي متنوعة و متعددة حتى صارت تغيب كثيرا .

أما اللباس التقليدي يجمع كل المستجوبين أنه من أجمل الأزياء فالجزائر بمختلف مناطقها صارت تجتهد في الحفاظ عليه .

فتذكر المستجوبة "م.ف" أن اللباس الشاوي و القبائلي و القسنطيني و كذا التلمساني حاضرة بقوة في كل مناسبات الجزائريين ، بالرغم من أنه لوحظ مؤثرا انتشار اللباس المغربي و حتى " **الصاري** " الهندي إلا أن الألبسة الجزائرية التقليدية من أجمل الألبسة في العالم .

وترى المستجوبتان "ل.ف" و "م.آ" أنه بالرغم من غزو الألبسة الغربية للمجتمع الجزائري إلا أن أزياءنا التقليدية لا تزال راسخة في ذهنياتنا وحاضرة في مناسباتنا ، و يتم الحفاظ عليها و صارت سمة الجزائريات تعتبر عن أصالة تراثنا و تنوعه ، أما المستجوبة "ب.ك" تقول أن" **الحايك الجزائري** " مثلا صار من الماضي و نادرا ما نلاحظه في المناطق شبه الحضرية و مقتصر فقط على فئة العجائز لكنه حاضر بقوة في أعراسنا خاصة في الأعراس .

أما المبحوث "ب.ص" يرى أن المجتمع الجزائري غني بالكثير من الألبسة التقليدية و منها " **الجلابة** " التي تكون بارزة بقوة أثناء فصل الشتاء ، و كذلك " **البرنوس** " التي يزين العروسين لا يزال يعبر عن أصالتنا و تاريخنا العميق و تميزنا الثقافي .

ويجمع معظم المستجوبين أنه بالرغم من عاداتنا و تقاليدنا المتنوعة التي صرنا نفتقدها مع مرور الزمن ، إلا أن العائلات الجزائرية لا تزال محافظة على البعض منها و تعكس الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري و الذي ميزته عن غيره من المجتمعات الأخرى ، و يرى المستجوبون ضرورة الحفاظ عليها من الانحلال و الاندثار و الذوبان في ثقافة الآخر ، الذي تبنى ثقافته على قيم مثالية استهلاكية و مادية .

_ تم إعطاء سؤال آخر لم يكن يندرج في دليل المقابلة ؟ هل تقدم القنوات الجزائرية في مضامينها طابعنا الثقافي الهوياتي ؟ .

أجمع معظم المستجوبين أن القنوات الفضائية الجزائرية سواء الخاصة أو العمومية لا تهتم بالجانب الثقافي الهوياتي في مضمون برامجها ، ولا تجتهد حتى في إبراز بعض العادات و التقاليد الجزائرية خاصة أن معظم تقاليدنا مستمدة من الدين الإسلامي .

فيرى مثلا المستجوبين "ع.ف" و "ل.ف" أن البرامج الجزائرية خاصة الأفلام و المسلسلات لا تبرز عاداتنا التي تعكس هوية المجتمع الجزائري إلا نادرا فهي تنقل من خلال المسلسلات إلا الصراعات التي تحدث في الحياة اليومية ، كالمشاهد التي تظهر الشجار بين الجيران ، و تنفي بذلك قيم التضامن و السامح التي تسود تقريبا كل طبقات المجتمع على حد سواء ، لكن الأفلام و المسلسلات في سنوات السبعينيات تعتبر أفضل الإنتاجات السينمائية .

المحور الثالث :

السؤال الأول : كيف تقيم استخدام اللغة العربية داخل الجامعة ؟ و واقع اللهجة العامية المتداولة حاليا بين الطلبة ؟ .

بالنسبة لاستخدام الطلبة الجامعيين للغة العربية الفصحى هي غير موجودة تماما كما يصرح المستجوبين أن المجتمع الجزائري لا يتكلم اللغة العربية الفصحى ، و إنما اللهجة العامية .

أما عن استخدام الطلبة للغة العربية الفصحى داخل قاعات المحاضرة يرى المستجوب الأول "غ.ع" أنها في تدني مستمر حتى الأستاذ صار يجد صعوبة في الاعتماد على اللغة العربية لوحدها دون الاستعانة باللهجة العامية أثناء المحاضرة ، و يرجع سبب ذلك للواقع الذي صار يفرضه وجود اللهجة العامية داخل المحاضرات و مقاييس التطبيقات ، حتى الطالب صار يجد صعوبة جد كبيرة في إلقاء بحثه باللغة العربية الفصحى السليمة

و ظهور ما يسمى بالكلمات المستحدثة ذات الطابع التقنوي على حد تعبير المستجوب مثلا يقول الطالب "راني **Battery Faible** " ، الدالة على تعب الشخص ، فالعامية و الكلمات الدخيلة صارت لغة خاصة بالشباب و كثيرة الاستخدام بينهم .

يرى كذلك المستجوب الثاني "م.ب" أن لغة الشباب صارت خليط بين اللغة العربية و الفرنسية و اللهجة العامية فمثلا أصبح يطلق على صاحب التسريحة الغريبة " **قنفذ Man** " أو حتى كلمة " **Partageli** " فيقول المستجوب " **Partager** " معروف أنه فعل بالفرنسية لكن نهاية الفعل لا ندرك معناها و أصلها .

و ترى المستجوبتين "م.ف" ، "س.ك" أن اللغة العربية و استخدامها بين الطلبة صار في تدهور سنة بعد سنة خاصة داخل المحاضرات فالطالب الآن صار لا يقدر على تركيب جملة واحدة باللغة العربية دون أخطاء وأصبح الشباب يتكلم عبارات ومصطلحات هي جزء من القاموس الجديد المتداول بينهم .

فعلى حد تعبير المستجوبة " م ، ف " أن الكلمات الأكثر شيوعا بين الطلبة تكون في الكثير من الأحيان استفزازية وتحمل طابع السخرية مثل كلمة ،" **مالايكاتو ثقال** " ، " **mangole** " وغيرها كلها عبارات دخيلة وهجينة على اللهجة العامية وثقافة المجتمع الجزائري .

وتقف المستجوبة عند عبارة " **جابلي ربي** " التي ترى فيها المساس إلى الله دون وعي مستخدميها و كأن الله أوحى للشخص فكرة ما ، وأن الكلمات التي نستخدمها في المجتمع ليست سليمة ولا ندرك معناها الحقيقي فقط نتكلمها دون الوقوف عند مدلولاتها .

السؤال الثاني : على ذكر لهجة الشباب الجامعي المتداولة الآن – ما رأيك في الكلمات المستخدمة في الأغاني الجزائرية ؟ وهل ترى أن الفن الجزائري يعكس ثقافتنا ؟

أبدى كل المستجوبين استغرابهم من الكلمات المستخدمة الآن في الأغاني الجزائرية خاصة فن" الراي " فمثلا المستجوب الأول "غ.ع" يقول أنه لا يسمع أبدا لهذا الفن ولا يدرك معنى العبارات و الكلمات المستخدمة ، و يرى أنه غناء غريب و أصبح بذلك المجتمع يسقط في السهولة و يتقبل كل شيء وطبيعة الموسيقى الصاخبة دفعت الشباب الجامعي يتابع الريتم مقابل الكلمات ،و يرى المستجوب أن هذه الأغاني التي صار يرددها الشباب و موجودة بقوة حتى في مناسباتنا لا ترفع بمستوى الذوق العام و

إنما تساهم في إندثار الفن الحقيقي فهو يعتقد أن الأغاني الجزائرية لا تصنف إلى أي فن ، فهي تعكس مزاج صاحبها و لا تعبر عن هوية الفن الجزائري ،أما المستجوبان "ع.ب" و "ب.ص" يصرحان بسماعهما لفن الراي و بكثرة بالرغم من كل العبارات المستخدمة فهم يجدون فيه أسلوب يساعدهما على التنفيس و الترفيه لانعدام المنتوج الثقافي في المجتمع الجزائري ،لكنهما لا ينفيان جرأة الكثير من المصطلحات التي صارت تستخدم في الأغاني خاصة " الراي " التي تدعو للإثارة و الإباحية ، و يقف المستجوبان على جمالية الأغاني القديمة كأغاني الشعبي و الحوزي و حتى الشاوي و القبائلي فهي تعكس الثقافة الجزائرية و هويته من خلال هذه الطبوع المتنوعة أما المستجوب "ع.ن " يبدي إستياءه الكبير من الأغاني الجزائرية و الكلمات المتداولة فيها التي تعكس صورة سيئة عن المجتمع و تساهم في المساس بالقيم و المبادئ لدى الطلبة ، فالمغني الجزائري على حد تعبيره لا يقدم فن و إنما مستوى رديء يعكس بها صورة مشوهة عن الفن في الجزائر ، و يجد هذا المستجوب رغباته و ذوقه في الأغاني الرياضية التي تعكس تضامن الجزائريين و حبهم للوطن و كذا مواطنتهم .

وترى المستجوبة " ب ، ك " أن رداءة الأغاني الجزائرية وعباراتها الغير أخلاقية دفعت بها إلى الاستماع للأغاني الغربية سواء الفرنسية أو الانجليزية فهي ترى أنها ملائمة و كلماتها معقولة .

السؤال الثالث : القنوات الفضائية تقدم برامج متنوعة و مختلفة تبرز من خلالها المشاهير والفنانين هل ترى أن الطالب الجامعي يقلد هذه الشخصيات خاصة " اللباس وقصات الشعر وغيرها " ؟ .

بالنسبة لظاهرة تقليد الشخصيات المشهورة يجمع أغلب المستجوبين أنهم لا يقلدونها لكن هذا لا يمنعهم من متابعة أخبار المشاهير خاصة الممثلين و الفنانين العالميين .

و يعبر على ذلك المستجوب "ب.ص" أنه يتابع أخبار المشاهير خاصة لاعبي كرة القدم الوطنية و العالمية لكنة لا يقلدهم من ناحية السلوك أو اللباس أو قصات الشعر لكنه يقبل على شراء الألبسة الرياضية الحاملة لأسمائهم .

و ترى المستجوبتان "ل.ف" و " س.ك" أن الطلبة الجامعيين صار تقليدهم لمختلف الشخصيات ظاهر و بارز في سلوكياتهم و ألبستهم .

فالطلبة صاروا أكثر إقبال على تقليد قصات شعر المشاهير خاصة الفنانين و لاعبي كرة القدم ، فنجد بعض الطلبة يرتدون ملابس مشابهة للفنانين و اللاعبين و تجاوز تقليدهم حتى في وضع الحلي مثل " القلادة ، .....) .

يرى المستجوبون أن الطلبة صاروا يقبلون كثيرا على " المودة " في شراء الملابس ، حتى صار مظهر الطالب لا يوحي أنه متوجه للجامعة و لا يبرز هويته كطالب في الدراسات العليا

تقول المستجوبة "ب.ك" أن الطالب في وقت سابق كان يحترم كثيرا الجامعة و يرتدي ملابس بسيطة و موظبة تليق بمكانة الجامعة و كذا يحمل محفظة و كتب و غيرها .

أما الآن مظهر الطلبة لا يوحي بإنتماءهم للجامعة ، و تحولت بذلك لفضاء يبرز من خلاله الطلاب ملابسهم فصاروا يقدسون المظهر على حساب تنمية و تطوير معارفهم و هذا انعكس كثيرا على مستوى الطالب الجامعي فالقنوات الفضائية صارت منبع يتعلم منه الفرد كيف يرتدي الملابس العصرية و كيف يتصرف فالتقليد أصبح واضح الملامح من خلال مظهر الشباب داخل المجتمع من قصات الشعر الغربية و المختلفة و يعبر على ذلك المستجوب "م.ع" أن قصات الشعر أصبح يحدد ثمنها الطلب حسب فالقنوات التلفزيونية صارت تشجع على ظاهرة التقليد الأعمى و إبهار المشاهد بجمالية الشخصيات و بينت أجوبة المستجوبين أن الفضائيات أثرت كثيرا على حياة الشباب الجامعي في نظرهم ، فمثلا الطالب صار لا يراجع و لا يطالع إلا ليلة الامتحان ، و هناك من يرى أن البيئة التي ينتمي إليها لا تساعد و لا تشجع على المراجعة و المطالعة ، فالقنوات التلفزيونية ساهمت بدور كبير في تعريفهم بالمجتمعات العالمية و ثقافاتها المتنوعة و المختلفة و ساهمت في تغيير نظرة الشباب الجامعي للحياة و إطلاعه على أنماط و عادات جديدة في حياته بدواعي التحضر و التفتح على ثقافة الأخرى (الغرب) .

السؤال الرابع : هل تراعي المودة في اختيار ملابسك ؟ و ما رأيك في الملابس التي يقبل عليها الطلبة ؟

.

بينت أجوبة بعض المستجوبين أنهم لا ينفون متابعتهم للمودة و إقبالهم في مرات عديدة ، فيعبر على ذلك المستجوب "م.ع" أنه يتابع المودة في شراء ملابسه خاصة الغربية منها و يرجع سبب ذلك في انعدام المنتوج المحلي و جودة الملابس الغربية .

أما المستجوبتان "ل.ف"و"م.آ" لا تجدان عائقا في متابعة المودة أثناء اختيار ملابسهما فتجدان ذلك ضرورة حتمية خاصة و أن المجتمع صار كله يبنى على المظاهر الخارجية ، مرجعتان ذلك في انعدام المنتوج المحلي الذي دفعهما لمتابعة المودة التركية خاصة " الحجابات " التي تلقى استحسانهما .

لكن المستجوبة " ل ، ف " ترى أن ألبسة معظم الطلبة لا تليق بمستوى الجامعة و لا تعكس خصوصية المجتمع الجزائري فالكثير منها تراه غير محترم ، أما المستجوبين " م،ب " و " ع ، ب " لا يجدان عائقا في متابعة المودة أثناء اختيار ملابسهما شريطة أن تكون بسيطة ، واقبالنا على الألبسة الغربية ضرورة لانعدام المنتوج الجزائري .

المحور الرابع :

- **السؤال الأول** : كيف ترى تأثير القنوات الفضائية على الوازع الديني على الطلبة ؟ .

يجمع أغلب المستجوبين أن القنوات الفضائية تؤثر كثيرا على قيم الدين الإسلامي لان ما يحدث داخل الجامعة الجزائرية من سلوكيات غير أخلاقية ينفي عن الأغلبية من الشباب الجامعي التزامهم بقيم و غايات الدين الإسلامي .

تعبر على ذلك المستجوبة "ل.ف" عن انتشار ظاهرة القبل بين الطلبة و الطالبات داخل الجامعة مصدره واحد و هو الفضائيات التي غرست هذه السلوكيات المنافية لقيمنا و مبادئ المجتمع الجزائري .

و تعبر على ذلك المستجوبة "ب.ك" أن القاعات المخصصة للمحاضرات و التطبيقات تحولت لفضاءات للمواعيد الغرامية و ملاحظة الكثير من السلوكيات المخلة بالحياء .

و أصبح تأثير القنوات الفضائية من خلال الأفلام و المسلسلات بارز من خلال غرس سلوكيات الإثارة و الجنس و صار الطالب يحاول عيش نفس قصة البطل و البطلة في الأفلام الرومنسية ، و يرى المستجوب "م.ع" أن المسلسلات التركية أثرت بنسبة كبيرة على المجتمع الجزائري من خلال مسلسلاتها فمثلا صار المشاهد يتعاطف مع البطلة بالرغم من حملها " غير الشرعي " و بالرغم من أن هذا الأمر محظور في ديننا و مجتمعنا إلا أنه تجد الأسر أثناء متابعتها متضامة معها وبالتالي تتقبل سلوك غير أخلاقي دون وعي قد يؤثر بشكل كبير على تنشئة الطفل ، فالمشاهد الجزائري صار ضحية الصور : و يسقط في السهولة و صارت القنوات الفضائية تستحوذ على عواطف المشاهد بسهولة ،و أصبح الشباب الجامعي لا يلتزم بالدين و الأخلاق الحميدة مثلا (الصدق و الأمانة و التواضع و الصبر) .

و يرى جل المستجوبين أن وضع الجامعة صار اليوم جد مخجل حيث أصبح غالبية الطلبة الجامعيين همهم الوحيد بعد حصولهم على شهادة البكالوريا هو التحرر من قيود العائلة ، فأصبحت الجامعة المتنفس للشعور بالحرية دون رقابة و صارت المحاضرات و التطبيقات من الأمور الهامشية في حياتهم أما المعيار الأول هو التصرف بحرية داخل الجامعة و ممارسة مختلف السلوكيات التي تكون محظورة داخل أسرهم و أماكن إقامتهم .

و يرى الطالب "م.ب" أنه بالرغم من أننا ولدنا في بيئة مسلمة إلا أن تمسك الطلبة بالتعاليم الإسلامية لم تعد ملامحه بارزة و واضحة على حد تعبيره " **الجزائري يحب يموت ساجد و ميصليش** "و هنا دور التنشئة الاجتماعية أصبح يتلاشى مع مرور الزمن فالطالب أصبح حضوره جسدي أما الروحي مغيب .

و يؤكد المستجوبون أن الجامعة الجزائرية تحولت لفضاء يمارس فيه الطالب ما بدا له من سلوكيات ممتدة كلها من برامج القنوات الفضائية التي صارت تدفعه لمعايشة واقع تفرضه الجهة المنتجة أو الباثة ، فتقول المستجوبة "س.ك" أن دور الأسرة الجزائرية بدأ يزول تدريجيا فالأسرة تعبر بمثابة الجماعة الأولية أو المرجعية التي يستمد منها الفرد السلوكيات المحمودة و التي تكون بمثابة حصن متين له طيلة مشواره الدراسي ، فترى المستجوبة أن معظم العائلات الجزائرية لا تجيد التعامل ،مع أبناءها و أعطاهم فضاء واسع داخل الأسرة فمثلا البنت يمنع عنها كل شيء و تجد الحوار بينها و بين بقية العائلة منعدم تماما و هذا ما يجعلها تمارس سلوكيات جديدة داخل الجامعة لأنها تجد فيها نوعا من الحرية .

و حتى علاقة الآباء بأبنائهم في الحياة اليومية في نظر المستجوبون نجد تدخل الآباء في القضايا التي تخص مشوارهم فقط أو اختيار الأصدقاء و الزملاء " الصحبة الصالحة " بينما لا تركز على عنصر الحوار و الاستماع إلى أبنائهم و تهيأتهم لمعايشة الواقع الاجتماعي دون التأثر و محاولة تقليد ما يشاهدونه

يرى المستجوبين "غ.ع" و "م.ب" أن الآباء لا يتحكمون في البرامج التلفزيونية و يتركون حرية كبيرة لأبناءهم أثناء المشاهدة فمثلا الأم صارت تجد في القنوات الفضائية وسيلة ليرتبط بها أبناءها دون إزعاجها و لكن لا تدرك مدى خطورة انعكاس ذلك على أولادها مستقبلا .

السؤال الثاني : ما رأيك في العلاقات التي تقام بين الطلبة و كذا السلوكيات داخل الجامعة ؟ و كيف انعكس ذلك على الجامعة و مستوى الطالب ؟

أغلبية المبحوثون يؤكدون على وجود علاقة تعارف و حب بين الطلبة قبل الزواج و يعبر أنه أمر ضروري قبل الزواج من أجل تجنب الوقوع في المشاكل و العراقيل ، و يعبرون ذلك بابا للتعارف بين الجنسين و أنه أمر ضروري و حتمي ، و على الشباب أن يتعرف على خليلته و يشكل معها علاقة سواء عن طريق الهاتف أو من خلال اللقاءات التي تجمعهم في الجامعة أو خارجها ، و يروى أن القنوات الفضائية لها تأثير محدود عليهم فيما يخص تشكيل علاقات حب و تعارف قبل الزواج من خلال تعرضهم لما تعرضه القنوات من مضامين متنوعة من أفلام و مسلسلات و أغاني و فيديوهات .

يرى المستجوب "غ.ع" أن الإعلام صار يغرس في المتلقي سلوكيات بالرغم من أنها مخالفة للعرف إلا أنه يدفعه لممارستها فتجعل الشاب أو الشابة يعيشون في خيال سرعان ما يزول بداع أنها تجربة و يجمع بعض المستجوبون أن العلاقات العاطفية بين الطلبة صارت تأخذ منحنى آخر دون ضوابط و إنتشار ما يسمى " بالأمهات العازبات " حتى تأثير الفضائيات صار واضحا حتى في اختيار شريك الحياة على أساس المال على حساب الدين و الأخلاق و الثقافة الواسعة و يبين المستجوب "ع.ب" أن تأثير القنوات موجودا حتى على العلاقات الاجتماعية و مكانة الإنسان في الوقت الحاضر في نظر الشباب الجامعي تحدد على أساس المال و السلطة و النفوذ .

فهذه القنوات ساهمت في تغيير نظرة الشباب بإبهاره بأن الأمور المادية هي التي أصبحت تعطي للإنسان قيمة .

و ترى المستجوبة "ل.ف" أن العلاقات العاطفية بين الطلبة داخل الجامعة صارت تنعكس سلبا على المجتمع فمن خلال مشاهدة سلوكيات منافية لمنظومة العرف داخل مؤسسة تساهم في تفكك قيم المجتمع و بذلك تراجع مستوى الطالب الجامعة كثيرا خاصة في مجال البحث العلمي و تحولت الجامعة التي ملاذ

الكثيرين للهو و تمضية الوقت و انعكس على التحصيل العلمي و المعرفي و على المنظومة الجامعية ككل

السؤال الثالث : كيف ترى تأثير القنوات الفضائية على القيم الاجتماعية والهوية الثقافية على الشباب الجامعي ؟

يرى المستجوبون أن تأثير القنوات الفضائية ليس في كل الأحوال تأثير سلبي على القيم الاجتماعية لدى الشباب ، فالطالب الجامعي لا يزال يحافظ على قيمه التي استمدها من العائلة و طورتها فيه المؤسسات التربوية .

فبالرغم من التكنولوجيا للإعلام و الكم الهائل من القنوات التلفزيونية الفضائية و غزو ثقافات الآخر على مجتمعنا إلا أن الشباب الجامعي لا يزال متمسكا بهويته الثقافية التي ميزته عن باقي المجتمعات الأخرى .

يرى المستجوب "غ.ع" و المستجوبة "ل.ف" أن الواقع الاجتماعي لا يزال يطرح نفسه و لم تستطع القنوات الفضائية أن تغير فيه ، بدليل ذلك أن وسائل الإعلام حاولت زرع الفتنة مؤخرا بسبب الانتخابات داخل المجتمع و تنشر التوتر الاجتماعي و السياسي إلا أن أفراد المجمع حافظوا على هدوء النظام العام .

ترى المستجوبة "ب.ك" أنه بالرغم من إرتباطنا بالقنوات الفضائية باعتبارها وسيلة و أداة أخذت مكانة داخل كل بيت في الأسرة الجزائرية إلا أن الطالب الجامعي لا يزال يحافظ على قيمه الاجتماعية من سلوك ، أخلاق . مبادئ و تبقى هوية الطالب الجامعي الجزائري واضحة الملامح المتمثلة في العضوية احترام الآخر ، التواضع ، و غيرها .

و يرى المستجوب "م.ع" أن بالرغم من ممارسة الطالب للعديد من السلوكيات و محاولته تقليد كل ما يشاهده عبر وسائل الإعلام و حبه الإطلاع على الآخر إلا أنه ملامح هويته و قيمه لا تزال موجودة و

هذا لا ينفي إرتباط الطالب الجامعي بالقنوات الدينية و متابعة البرامج العلمية و الإرشادية و لكن بشكل محدود لتبقي الأسرة و المدرسة و المسجد لها الفضل في تعليم الأفراد تعاليم الإسلام .

_ نتائج الدراسة:

لقد حاولت الدراسة منذ البداية أن تجيب عن تساؤل رئيسي شكَّل لب المشكلة القائمة في الدراسة، حاولت البحث في تأثير القنوات الفضائية المحتمل الحدوث على الهوية الثقافية لدى الشباب، حيث تبين أن خاصية الهوية الثقافية مستمرة ديناميكية ومتغيرة بالإضافة إلى أنها متناقلة من جيل إلى آخر، يعي عناصرها كل جيل تناقلت إليه، وهي تحمل التميُّز والانفراد عن الآخر وتأخذ شكل المناعة كلما ظهر هناك تهديد يمس خصوصياتها.

أما القنوات الفضائية فهي مبتكر ونتيجة تمخضت عن تطور تكنولوجيا الاتصال، أتاحت للأفراد ووفرت تدفقا أحسن للمعلومات، حيث تبين أن مشاهدة القنوات الفضائية في مجتمعنا آخذة في الزيادة كل يوم بشكل يصعب معه تقديم أرقام ، وقد رصدت الدراسة سلوك يمارسه الشباب مع هذه التكنولوجية، و كشفت عن مدى ارتباطهم بالمحتويات والبرامج التي توفرها وهي كثيرة، كما تبين المكانة التي تحتلها هذه الوسيلة ضمن وسائل الإعلام الأخرى.

توصلت نتائج الدراسة كما تبين أن هناك متابعة كثيفة للفضائيات بصفة فردية انعزالية، وكذا جماعية من شأنه أن يكون بديلا لكل أنواع و أشكال العلاقات الاجتماعية القائمة في المجتمع.

و قد دلت الدراسة على أن تأثير القنوات الفضائية ذو بعدين إيجابي وسلبي، وهو يرجع إلى ما تحمله هذه الوسيلة من ايجابيات وسلبيات، ويبقى على الفرد أن يفرض الرقابة إلا من نفسه وضميره وأخلاقه و وازعه الديني.

وتبين أن هناك أثار متعددة نتيجة للتعرض للقنوات الفضائية ، وهي مخاطر ثقافية وأخلاقية واجتماعية ودينية، ولكن الشباب الجامعي واعي بهذه المخاطر، وأن أهمها المضامين الغير أخلاقية.

كما ظهر أن هناك ما يهدد الهوية الثقافية من الخارج، ومن خلال غرس ثقافات بديلة ،كما أن الشباب الجامعي مدرك لهذه الأهداف الخفية و المستترة، من خلال ما تحمله من مضامين، و اعتبارها أداة من أدوات الاختراق الثقافي للمجتمع.

و ظهر كذلك أن الشباب الجامعي يحمل اتجاهات ايجابية و قوية نحو عناصر هويته الثقافية، و كل ما يمثل التمسك بها، و هي راسخة عندهم و لم تتأثر من خلال متابعة القنوات الفضائية، إضافة إلى ذلك فإن طبيعة ما تبثه الفضائيات العربية لم يرقى إلى درجة التعريف بثقافتنا ودیننا وعاداتنا وقيمنا، وهي في معظمها برامج للتعرف على مجتمعات أخرى.

و خلصت الدراسة إلى التأكيد على ضرورة حماية الهوية الثقافية المحلية، وهذا في إطار الهوية العربية الإسلامية، وهي ضرورة تمليها مستجدات العصر، ما يفرض علينا ضرورة تحصين ثقافتنا.

وفي الأخير فإن إطلاق مثل هذا الحكم يحتاج إلى الكثير من الدقة العلمية، وكذا إلى أدلة امبريقية، حتى لا نقع في مثل الأبحاث التي أقيمت مع التلفزيون، والذي حمِّل الكثير من المشكلات والظواهر ، ولكن اكتشف بعد حين أنه ليس العامل الأول المسبب لهذه المشكلات بل هناك عوامل أخرى تشترك معه، و

في الحقيقة لا تملك الدراسة إجابة قطعية لهذه المشكلة، ذلك أن العلاقة بين القنوات الفضائية و التأثير على الهوية ليست علاقة سبب و نتيجة بصورة قطعية، و لكن هي أعقد من ذلك، خاصة و أن الدراسة تتناول جانبا بحثيا للدراسات الإعلامية و الذي يعد من أعقدها، و الممثل في دراسة الأثر، ذلك أن مثل هذه الظواهر تعد متشابكة و معقدة، تتداخل فيها عدة متغيرات و عوامل أخرى، مسببة في ذلك يصعب عزلها.

ويمكن أن نقول أن هذه الوسيلة لن تبقى كما هي عليه اليوم، وقد عبَّر أحد العلماء أن الفضائيات لم تصل بعد إلى ما كان يطمح إليه، وأنها الآن في بداياتها، فسوف تتعاظم قدراتها، ويزداد معها أعداد متابعيها في السنوات القادمة، و هذا ما يجعل تأثيراتها أشد قوة.

وبينت الدراسة أن الشباب الجامعي لا يلق اللوم على مضامين القنوات الفضائية ، وإنما تتدخل عناصر أخرى خاصة الهاتف النقال الذي ساهم في الاتصال وبناء العلاقات الإنسانية وخاصة أنه يشكل مصدر للمتعة ويتم توظيفه في الأمور الغير أخلاقية مثل تبادل الصور الإباحية والموسيقى الصاخبة بين الشباب

وكذلك أثبتت الدراسة أن للشبكة العنكبوتية تأثير واضح وبالغ الخطورة على الشباب وكذا المراهقين فهي بحر واسع يستطيع من خلاله الولوج لمختلف المواقع ، خاصة وأن استخدامه شخصي .

2_ إشكالية الدراسة :

تعد الجزائر من إحدى دول العالم العربي والنامي وأكثرها تأثرا بظاهرة البث التلفزيوني "الفضائي" المباشر عبر الأقمار الصناعية الذي اعتمدته فعليا سنة 1986 وأصبحت بذلك تشهد انتشارا واسعا للهوائيات المقعرة الذي انطلق بشكل ملفت للانتباه منذ سنة 1990 الذي كان قبل هذا التاريخ حكرا على الفئات الميسورة اجتماعيا .

أتاح البث الفضائي فرصة الاختيار والمفاضلة بحيث لم تعد المشاهدة مقتصرة على قناة واحدة وقدم لمشاهديه فرصة اختيار القنوات التي يرغب فيها من شتى المناطق ، وأخذ بذلك التلفزيون مكانة مهمة داخل كل بيت و بدأ يلعب دورا هاما في وعي المتلقي فمن خلال جمالية الصورة وكثرة اللقطات في الثانية الواحدة و الانتقال من بلد إلى أخر و الحصرية كذلك في البث المباشر أضفى للمتلقي حرية الاختيار و التعرف على أنماط حياة جديدة و عادات مختلفة وكم هائل من البرامج يجذب المشاهد له ، وجعل البث الفضائي الجمهور يتجول في العالم ؛ وأصبح معه التلفزيون في أيامنا الوسيلة الأهم والمنافسة لمكونات المجتمع الأخرى كالأسرة والمدرسة والمشارك الرئيسي في تحديد ملامح سلوك الناس و حياتهم اليومية وذات تأثير مباشر في التكوين الثقافي والإعلامي للمجتمعات .

ساهمت القنوات الفضائية في إمكانية متابعة الأحداث والتعرف على الأخبار العالمية والتعايش مع الخبر في أماكن و أوقات حدوثه والحرية الكاملة في تقديم المضامين المختلفة بما تحمله من إثارة و جرأة تصل إلى حد الإباحية من طرف بعض القنوات .

ونظرا لأن القنوات الفضائية هي الوسيلة الأقوى والأعم في التأثير على المجتمعات الإنسانية لما تملكه من الإثارة الصوتية والصور النقية وبث الأفلام الواقعية وشبه الواقعية والبرامج التي تحاكي حياة المجتمعات بكافة طبقاته وشرائحه خاصة فئة الشباب التي تسعى إلى التغيير، فان لها دور مؤثر في

الحياة الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري الذي صار يشهد تهديدا في هويته الثقافية باعتبارها المحور الرئيسي له بإبرازها سلوك أفراده ، شخصياتهم ، أصالته و قيمه التي منبعها المجتمع والعرف ، يعد تأصيل الهوية الثقافية من أهم سبل تشكيل الشخصية القومية ، فالحفاظ علي الهوية الثقافية وخاصة في ظل التحولات العالمية يستوجب غرس تنمية شعور قوي بالهوية لدى الناشئين والشباب على حد سواء فقد ظهرت أنماط حياتية جديدة وبرزت مجموعة من القيم الدخيلة مقابل القيم المحلية وتنامي انتشار اللغات العالمية مقابل اللغة المحلية ، وغيرها من التحديات التي فرضت نفسها على هويتنا الثقافية وألقت بثقلها علي المجتمع الجزائري ، وبسبب كثافة وخطورة الاختراق الثقافي الذي يتعرض له نسق القيم والثقافة بصفة عامة ومن هنا صارت التحديات تفرض نفسها علي مجتمعنا ، فوجد الشاب هذه التقنية الإعلامية التي لم تتجلى معالمها بعد في المجتمع ، حيث تدور حولها حوارات معمقة تصادمت فيها الآراء و تعارضت حول انعكاسات استخدامها و ما تتضمنه من محتويات، فالبعض يراها على أنها نعمة فريدة و أفضل تطور تكنولوجي و يدافعون عنها، وآخرون ينظرون إليها على أنها أداة لسيطرة ثقافة و لغة المتحكمون فيها و وسيلة لانتقال أفكار و قيم و محتوى يتعارض مع طبيعة المجتمع العربي عموما و الجزائري بصورة أخص، من خلال تدفق إعلامي حر و بدون أية قيود و لا رقابة، هذه الوسيلة التي يصعب السيطرة على مضمونها أو على أسلوب استخدامها تقدم مضامين متنوعة لا حصر لها تمس جميع مناحي الحياة ، خاصة و أنها ذات طبيعة عالمية ليس لها مصدر واحد محدد و معروف .

و تطرح قضية الهوية الثقافية نفسها بكل ما تحمله من عناصر و مكونات و تعقيدات في هذه الدراسة حيث طرحت القنوات الفضائية إشكالا باعتبارها أحد أكبر الأدوات الإعلامية من ناحية التأثير المحتمل في جانبيه الايجابي و السلبي على الهوية الثقافية بعناصرها المختلفة ، كالانتماء والدين واللغة التي تشكل

أهم عناصرها و منظومة القيم و العادات و العقائد...الخ، خاصة وأنه هناك إحساس عام بأن ثمة ما يهدد الهويات الثقافية من الخارج .

و الملاحظ في دراسة المشكلات و الظواهر في مجتمعاتنا يكاد يكون الشباب القاسم المشترك في العديد منها حيث تعتبر هذه الفئة الشريحة الغالبة و المشكلة لمجمعاتنا العربية عامة و المجتمع الجزائري خاصة و تعتبر أكثر الفئات العمرية قابلية لإعادة التشكيل ، و الأكثر استعدادا لقبول أي تغيير أو جديد و الملاحظ أيضا أن الشباب يمر بأزمة ذات أبعاد متعددة بعضها مرتبط بطبيعة هذه المرحلة العمرية في حد ذاتها ، إذ تعتبر مرحلة لم تحسم خياراتها بعد بشكل نهائي، و الآخر مرتبط بالتحولات الخارجية التي يعرفها العالم اليوم، أيضا هناك أزمة هوية و مواطنة و عدم الرضا عن الواقع الاجتماعي و الثقافي و الشباب يعيش أيضا مجموعة من التحولات في طرق العيش و التفكير و السلوك و الانتماء تداخل معها التقليدي بالحديث ، الأمر الذي جعل الشباب يبحث عن منافذ أخرى ينفذ من خلالها ليتدارك نقائصه إذ تتيح القنوات الفضائية للفرد التسلية والترفيه و يجد نفسه ملزما على التجاوب مع مضامينها بالرغم من الاختلاف في المبادئ ، التقاليد والعرف باسم العصرنة ، الحداثة ، والعولمة وأصبحت تتطلب بلورة رؤية خاصة نستطيع من خلالها الحفاظ علي هويتنا الثقافية وفي الوقت نفسه الانفتاح علي العالم للإفادة من نتائج المعرفة بجميع أشكالها دون أن نفقد شيئا من هويتنا.

وما يهم في هذه الدراسة هو محاولة معرفة التأثيرات التي يمكن أن تحدثها القنوات الفضائية على الشباب الجزائري من جراء المشاهدة المتعددة والمتنوعة لهذا الكم الهائل من البرامج الفضائية خاصة وأن جل

القنوات العربية أصبحت تعتمد كثيرا في المضامين التي تقدمها على المنتوج الغربي المترجم إلى اللغة العربية أو اللهجات العربية المختلفة .

ومن خلال ذلك نطرح الإشكال الأتي :

_ كيف تؤثر القنوات الفضائية على الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري ؟

ويتفرع عن السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية :

1_ ما هي عادات المشاهدة بالنسبة للفضائيات لدى الشباب الجزائري من حيث الكثافة ، الأيام ، متوسط حجم المشاهدة في اليوم ، ظروف المشاهدة ، ثم القنوات الفضائية المفضلة لدى المتلقي ؟

2_ ما تأثير القنوات الفضائية على الأنساق القيمية لدى الشباب ؟

3_ ما هي مجالات تأثير البث التلفزيوني على العرف ، والمنظومة الاجتماعية التي تنعكس على الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري ؟

4_ هل برامج القنوات الفضائية يساعد الطلبة الجامعيين على الارتباط بقيمهم الدينية ؟ .

5_ هل القنوات الفضائية من خلا برامجها المتنوعة تؤثر على سلوكيات الطالب الجامعي ؟.

3_ فرضيات الـدراسـة :

تعد الفروض من أهم العناصر في البحث العلمي ، لأنها تساعد الباحث في الاتجاه نحو الحقيقة التي أثارتها مشكلة البحث ، فهي تساعد الباحث على اقتصاد الجهد والوقت وتبعده عن الوقوع في متاهات لا حصر لها .

لكي تحقق الفروض غايتها لابد من اختيارها بشكل علمي دقيق لأن صحة هذه الفرضيات وسلامتها سيؤدي إلى سلامة الدراسة ككل حيث انبثقت عن إشكالية البحث الفرضيات آلاتية :

1_ يتابع الشباب الجامعي القنوات الفضائية لغرض التسلية والترفيه و التطلع على الأخر و فقا للاختيار والإدراك الانتقائي .

2_ مشاهدة القنوات الفضائية تؤثر على الثقافة الشباب الجامعي وتجعله منبهر بنمط عيش المجتمعات الأخرى وتسهم في اندثار العادات والتقاليد الجزائرية .

3_ متابعة البرامج التلفزيونية بكثرة يؤثر في استخدام اللغة بين الشباب الجامعي وتساعده على التقليد كعادات الملبس وقص الشعر .

4_ القنوات الفضائية تضعف الوازع الديني وتؤثر على سلوكيات الطلبة وتغير هوية الشباب الجامعي بتبني هويات جديدة .

4_ أهـــداف الـــدراسـة :

_الهـدف الرئيسـي مـن هـذا البحـث هـو محاولـة فهـم وظـائف القنـوات الفضـائية و أثارهـا الايجابيـة والسـلبية علـى الهويـة الثقافيـة لـدى الشـباب الجـامعي الجزائـري فـي ظـل موجـة الغـزو الثقـافي والانفتاح على الغير .

_العمل على تأصيل الواقع الحقيقي للهوية الثقافية بما يتفق مع ثقافة المجتمع الجزائري .

_معرفة مجالات التأثير الذي يحدثه البث الفضائي على الثقافة و الهوية .

__معرفـة العلاقـة الارتباطيـة بـين أثـار مشـاهدة الفضـائيات و المتغيـرات التـي تطـرأ علـى الـنمط الاجتماعي كاللغة ، العرف ، العادات والتقاليد ، ونمط الحياة اليومية .

_ أهميـة دراسـة القنـوات الفضـائية وبرامجهـا – خاصـة المستنسـخة مـن الغـرب – فـي القيـام بغـرس القـيم والمعتقـدات التـي تشـكل السـلوك خاصـة لـدى الشـباب والمـراهقين الـذين يشـعرون بواقعيـة المضمون المقدم من خلاله.

_ تنمية الوعي بقيمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري .

5_ أسـباب اختـيار المـوضوع :

_ القناعة بأن التلفزيون هو الوسيلة الإعلامية الأولى كونه يصل كل بيت وكثرة القنوات الفضائية وتنوع مضامينها ، جعل المشاهد أكثر ارتباط بها كمصدر رئيسي للترفيه ومعرفة كل أخبار العالم .

_ القنـوات الفضـائية صـارت أداة و وسـيلة مـؤثرة علـى وعـي الشـباب بغرسـها لقـيم وثقافـات جديـدة بحجة التفتح ومواكبة الأخر على حساب القيم والعادات المحلية .

_ محاولـة دراسـة تـأثير القنـوات الفضـائية علـى العمـوم دون التخصـص للإحاطـة بكـل المتغيـرات الدخيلـة التـي صـارت تهـدد الهويـة الثقافيـة لـدى الشـباب الجـامعي خاصـة وأنـه يقلـد كـل مـا يشـاهده من سلوكيات وعادات وتقاليد ليظهر أنه يعيش نمط أخر وحياة مغايرة .

_ المتغيرات الثقافية التي صار يتبناها الطالب الجامعي خاصة داخل الجامعات دفعت بنا لدراسة هذا الموضوع بحيث تعتبر الهوية الثقافية أساس أي مجتمع .

6_ الـدراسات الـسابقة :

دراسة الأستاذ **نصير بوعلي** الموسومة بـ **أثر الفضائيات الغربية على الأنساق القيمية والهوية الثقافية للمتلقي** ، يُطرح هذا البحث في السوسيولوجيا لا سيما فيما يرتبط بتواجد هذه الفضائيات و أثرها على ثقافة المجتمع وتقاليده و أعرافه و نظرته إلى محيطه والعالم الخارجي ، تلخص هذه الدراسة في الأخير

أن للقنوات الفضائية الغربية تأثير ايجابي لدى المتلقي نحو ثقافاتها و أن الفضائيات لا تستطيع التغيير في جوهر الهوية الوطنية وفي النسق القيمي للمتلقي عموما .

إلا أن تأثير الفضائيات في السلوكيات يبدو واضحا و جليا وهو يرتبط بنوعية البرامج التي تساهم في تكوين اتجاهات جديدة ويمكن تغيير السلوكيات المادية في الشباب كعادات الأكل و الملبس و قص الشعر و التصرفات ، و لكن يصعب تغيير العادات و التقاليد والقيم المعنوية لأنها مترسبة في الأعماق و تشكل من أصل وجود الإنسان ، فهو يحيا بها و يموت .

كذلك دراسة الأستاذ **محمد الفاتح حمدي** بعنوان : **استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة و انعكاساته على سلوكيات الشباب الجزائري** تهدف الدراسة لمحاولة فهم وظائف استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة وأثارها الايجابية والسلبية على سلوكيات الشباب الجامعي في ظل موجة الغزو الثقافي الغربي داخل النسق الاجتماعي الذي ينتمي إليه ، ومعرفة الوسائل التي يتخذها الشباب الجامعي كغطاء لحماية قيمهم و أفكارهم من الذوبان في ثقافة الأخر من خلال ما تحمله تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة من ثقافات مغايرة للثقافة المحلية ومن قيم جديدة مغايرة تماما للقيم السائدة في المجتمع الجزائري والتي منبعها الدين الإسلامي .

توصل الأستاذ **فاتح الحمدي** من خلال هذه الدراسة أن التكنولوجيات الحديثة تكون عائقا في حياتهم الدراسية من خلال إضاعة الوقت أثناء استخدامها و الإدمان عليها ، مما يولد لديهم حالات من الخمول و الفشل والإحباط كما أن الإكثار من مشاهدة القنوات الفضائية و التعرض لمواقع الانترنت و استخدام الهواتف المحمولة يحول حياة الشباب الجامعي إلى حلقة مفرغة من دون أهداف أو برامج مضبوطة .

وما يقدم عبر القنوات الفضائية العربية والأجنبية من أفلام ومسلسلات و أغاني يعد مصدرا يلجأ إليه العديد من الشباب الجامعي من أجل إشباع رغباته و غاياته المتنوعة ، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك

من يقلد كل ما يشاهده من سلوكيات وعادات وتقاليد و أنماط جديدة في طريقة العيش ، والوافدة إلينا من العالم الأخر الذي يسعى لترويج قيم مادية على حساب القيم الروحية و المعنوية للمجتمع الجزائري .

و أن ما جاءت به تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة من قيم جديدة على المجتمعات الإسلامية يعتبر ترويجا لقيم الحضارة الغربية التي تقوم على القيم المادية والمثالية والاستهلاكية على حساب قيمنا الروحية والمعنوية والدينية والتي مصدرها الدين الإسلامي ، ولهذا يجب أن نكون حذرين مما يقدم عير هذه الوسائط الإعلامية من خلال ما تقدمه من معلومات وأخبار و برامج متنوعة ، وذلك بالعودة إلى الحوار الأسري والمسجد والمدرسة والإعلام المحلي حينها نستطيع أن ننشئ جيلا قادر على الاختيار والنقد وما هو مناسب و مفيد في الحياة وبين ما هو سلبي ومهدم للقيم .

دراسة "سعاد ولد جاب الله "و موضوعها: (الهوية الثقافية العربية من خلال الصحافة المكتوبة):[1]

طرحت هذه الدراسة إشكالية حول: كيف تجلت الهوية الثقافية العربية في الصحف الإلكترونية العربية؟ و توصلت الدراسة إلى أن الصحف الإلكترونية العربية تبرز ملامح الخصوصية الثقافية بشكل ضعيف، و هي لا تخدم الهوية الثقافية، و تهتم هذه الصحف بقضايا التراث العربي، و تستغرق في إحياء عناصر التاريخ العربي الإسلامي والعادات و التقاليد العربية، و تهتم بالتقديم للفكر العرب و الآثار القديمة، و خلصت الدراسة كذلك إلى أن هذه الصحف لا تتعامل مع مواضيع الدين الإسلامي و لا تهتم باللغة العربية، أيضا تهتم هذه الصحف بمواضيع التنشئة الثقافية مركزة على نشر مكارم القيم الأخلاقية، و لا تساهم مواضيع الإبداع الثقافي فيها بشكل كافي في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية، و هي تقتصر على عرض مواضيع الفنون التمثيلية و الموسيقية.

+– كان مجتمع البحث في هذه الدراسة مواقع الصحف الالكترونية العربية على الانترنيت، وقد اعتمدت على منهج الدراسات الوصفية حسبها، موظفة تحليل المحتوى فيها كأداة، وأجريت الدراسة الفترة ما بين 1 سبتمبر 2004 إلى غاية 31 أوت 2005. أنظر:

1– سعاد ولد جاب الله : **الهوية الثقافية من خلال الصحافة الالكترونية، دراسة وصفية لعينة من الصحف الالكترونية العربية،** رسالة ماجستير غير منشورة، معهد علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2005، 2006.

دراسة (بوعلي نصير) و موضوعها: (البارابول و الجمهور الجزائري)[2]:

بحثت هذه الدراسة في عادات و أنماط مشاهدة التلفزيون (البارابول) بين أفراد الجمهور الجزائري و في تأثيرها على قيمهم وثقافتهم، حيث كشفت على أن محتويات التلفزيون تشد أفراد العينة إليها، و تبين أن غالبية أفراد العينة أبدوا رضاهم النسبي على هذه المحتويات، و الموافقة الكاملة على كل ما تتضمنه هذه القنوات لدى أفراد العينة غير وارد، و اتفق غالبية أفراد العينة بتأثير محتويات و مضامين البارابول و أنها تؤثر بشكل نسبي على قيم وثقافة المجتمع، واعتبروا أن ما يعرض يساهم في بلورة أفكار المجتمع تدريجيا و أنه يفتح الأذهان، و يوسع المدارك لدى الجمهور المتعرض و المتلقي لها.

دراسة (عبد الرحيم درويش) موضوعها: (العلاقة بين تعرض الشباب الجامعي للمسلسلات التلفزيونية العربية التي يعرضها التلفزيون المصري و إدراك الهوية الثقافية للمجتمع المصري)[3]:

هدفت هذه الدراسة البحث في تعرض الشباب الجامعي للمسلسلات العربية من ناحية الأنماط و الدوافع و مدى اعتقادهم بتأثير المسلسلات على الهوية الثقافية لمجتمعهم، و بحثت أيضا في مدى إدراك الشباب للواقع و درجة اغترابه ثقافيا عن مجتمعه، حيث لم تثبت الدراسة علاقة ذات دلالة إحصائية بين كثافة المشاهدة ومستوى الاغتراب لدى أفراد العينة، وبينت الدراسة أن طلاب الجامعة أكثر إدراكا لتأثير المسلسلات سلبا على الهوية الثقافية و الدينية للمجتمع الملا صري من ناحية متغير الجامعة التي يدرس بها أفراد العينة، في حين لم يؤثر النوع أو المستوى الاقتصادي و الاجتماعي على مثل هذا الإدراك.

---

[2]– اعتمدت الدراسة على منهج المسح موظفة الاستمارة كأداة، وزعت على عينة من الشباب قدرت بـ 250 مبحوث من الشباب مالكي البارابول، و أقيمت الدراسة في الجزائر العاصمة. أنظر:

– بوعلي نصير: **البارابول و الجمهور في الجزائر**، دراسة في عادات المشاهدة و أنماطها و التأثيرات على قيم المجتمع، أطروحة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة في علوم الإعلام و الاتصال ، معهد علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر، 1993.

– استخدمت هذه الدراسة منهج المسح و الذي استخدم فيه الاستقصاء بالمقابلة باستخدام الاستبيان كأداة، طبقت على عينة من الشباب الجامعي، تمثلت في 200 مفردة من جامعات القاهرة بمصر. أنظر:

3– عبد الرحيم درويش: **دراسات في الاتصال**، مكتبة دمياط، د.م، 2006.

"و بحثت الدراسة أيضا في أثر شيوع أنماط جديدة من السلوكيات من خلال هذه المسلسلات كمواد جذب لدى أفراد العينة، و اعتبرت الدراسة أن المسلسلات العربية تقلد المسلسلات الأجنبية، و أنها تحقق أهداف الثقافة الغربية و أنها تعرض قيما وسلوكيات سلبية" .

عموما يمكن القول أن أفراد العينة يرون أن هناك تأثير سلبي و إيجابي لهذه المسلسلات على الهوية الثقافية للمجتمع المصري.

7_تعقيب على الدراسات السابقة :

بمراجعة التراث العلمي في مجال برامج تليفزيون وتأثير القنوات الفضائية على الهوية يتضح ما يلي :

1- ندرة الدراسات العربية التي تناولت برامج القنوات الفضائية ودورها في نشر ثقافات بديلة .
2- لم تتطرق أي من الدراسات السابقة لقياس تأثير تلك البرامج على الهوية الثقافية العربية.
3- لم يكن هناك سوى القليل من الدراسات التي ركزت على تأثير الفضائيات على الهوية، وحتى تلك الدراسات لم تتطرق إلى مضمون الفضائيات الذي صار مرجعا للعديد من السلوكيات والقيم المتبناة من قبل الشباب الجامعي .

واستفدنا من الدراسات السابقة في صياغة المشكلة البحثية وصياغة الفروض وقياس المتغيرات ومقارنة النتائج السابقة بنتائج الدراسة الحالية.

8_ مفـاهيم و مصطلحات الدراسـة :

يعتبر تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية أمر لا بد منه في الدراسات والبحوث العلمية ويرجع ذلك إلى أن المفاهيم تتعدد في البحوث الاجتماعية والإعلامية والنفسية ، وكما أن الباحثين أنفسهم اختلفوا حول

إعطـاء مفهـوم واحـد لظـاهرة معينـة وبـذلك اختلفـت المفـاهيم مـن باحـث إلـى أخـر فيقـوم بتحديـد هـذه المصطلحات تحديدا دقيقا، لأن ذلك يعد جزءا من تحديد مشكلة البحث ذاتها ، فلابد أن نحدد الكلمات المفتاحية و مفاهيمها، و بالتالي العمل على إعطائها مدلول إجرائي يبعدنا عن الالتباس الذي يحيط بالمفهوم .

و لعل من أهم المفاهيم و المصطلحات التي تشملها هذه الدراسة، أدرجنا ما نراه مهما و له علاقة بموضوع هذا البحث، رغم انه هناك مفاهيم رئيسية و كلها تحتاج إلى توضيح، و هي فيما يلي:

_ التأثير: « يمكن تعريف التأثير بشكل عام بأنه بعض التغيير الذي يطرأ على مستقبل الرسالة كفرد فقد تلفت الرسالة انتباهه و يدركها، و قد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة، وقد تجعله يكون اتجاهات جديدة أو يعدل اتجاهاته القديمة، وقد تجعله يتصرف بطريقة جديدة، أو يعدل سلوكه السابق، فهناك مستويات عديدة للتأثير، ابتداء من الاهتمام إلى حدوث تدعيم داخلي للاتجاهات إلى حدوث تغيير على تلك الاتجاهات، ثم في النهاية إقدام الفرد على سلوك علني »[4] .

« يعني التأثير: التغيير الذي يمكن أن يحدثه التعرض للرسائل الإعلامية و على الحالة النفسية أو الذهنية أو المعرفية أو الثقافية أو الاجتماعية، أو على بعضها أو عليها كلها »[5].

التأثير هو ترك الأثر ، بمعنى الأثر هو نتيجة للتأثير ، نقول أثر في نفسي ، أي ترك فيها أثرا ونتيجة .

أقدم نماذج التأثير ما يؤكده نموذج الحقنة تحت الجلد **Needle_Hypodermique** فأصحاب هذا النموذج يرون لوسائل الإعلام القدرة على التأثير المباشر والاني والقوي في كل من يتعرض للرسالة

[4]_ محمد منير حجاب، " **المعجم الإعلامي** "، ط1 ، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، 2004، ص 114.

الإعلامية باستمرار ويوضح هذا الأخير التأثير الذي يحدث على مستوى القيم المادية التي تدعم الروح التجارية للأفراد ، مما يؤثر على الأنماط الشرائية وكذا على أسلوب الحياة العام[6] .

التأثير يمكن حدوثه عبر الزمن مثلما يتأكد في نموذج التأثير المحدود و التأثير المعتدل وفي نظرية الفجوة المعرفية وهذه النماذج كما يرى "**جوزيف كلابر** " أنها تحقق التأثير في الأفراد بطرق و أشكال غير مباشرة فالتلفزيون مثلا يرى كلابر أنه : لا يخلق أراء جديدة و اتجاهات متغيرة في السلوك إلا من خلال عوامل اجتماعية و سياسية واقتصادية كثيرة [7].

وتأثير القنوات الفضائية هو تلك النتيجة التي تتم بعد مرحلة التعرض والتفاعل الذي يحدث بين المشاهد و البرامج التلفزيونية ، وما تتركه من تأثيرات سواء كانت ايجابية أو سلبية على الشباب الجزائري باعتباره المكون الرئيسي للمجتمع .

الأثـر: « أغلبية الدراسات تستعمل المصطلحين، في نفس المعنى تقريبا، و الواقع أن كلا المصطلحين يعبران عن العلاقة في سياق تاريخي ثقافي و تكنولوجي يختلف في الزمان و المكان، فالتمييز نسبي و ليس مطلقا » [8] ، و ينظر إلى اثر القنوات الفضائية على أنه ضعيف يتراكم مع الزمن، ومنه التأثير يقع على المدى الطويل و ليس بالضرورة أن يكون آنيا.

5_ علي قساسية ، **" المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسة التلقي "** ، دراسة نقدية تحليلية لأبحاث الجمهور في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدوكتوراه دولة في علوم الاعلام والاتصال ، كلية العلوم السياسية و الاعلام ، سنة 2006_2007 ، ص : 33 .

6_ مخلوف بوكروح ، **" التلقي في الثقافة والاعلام "** ، ط1 ، مقامات للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011 ، ص : 109 .

7_ علي قسايسية ، مرجع سبق ذكره ، ص : 35 .

8_ خضير شعبان،" **مصطلحات في الإعلام و الاتصال** "، ط1، دار اللسان العربي للترجمة و التأليف و النشر، 2001 ، ص :24 .

9_ عبد الغني عماد، " **سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم و الإشكاليات...من الحداثة إلى العولمة**"، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية،ص : 81 .

10_ محمود شمال،**" نحن والبثّ الفضائيّ"**، بحث منشور في مجلة دراسات اجتماعية، السنة الأولى، العدد الثاني، بغداد، 1999م، ص 16 .

و الأثر هنا هو ذلك الذي يحدث من جراء السلوك الاتصالي للمستخدم مع الوسيلة و مع ما توفره له من خدمات و محتوى، و هذا في جانبيه الايجابي و السلبي ضمن السياق العام الذي يوجد فيه الفرد مع الأخذ بعين الاعتبار العوامل الوسيطة الأخرى ، ذلك أن اثر وسائل الإعلام هو عامل مهم و مؤثر و لكن ليس مباشر، إذ يعمل ضمن عوامل نفسية و اجتماعية أخرى متعددة [9].

_ مفهوم القنوات الفضائية :

هو عرض تلفزيوني مرئي يبث عبر شبكة من الأقمار الصناعية تدور حول الأرض في مسارات محددة معروفة، وتحدد بالزاوية والاتجاه على البوصلة لتحديد اتجاه التقاط كل مجموعة منه [10].

_ وعرفت القنوات الفضائية بأنها استقبال الإرسال التلفزيوني من الأقمار الاصطناعية مباشرة بأجهزة الاستقبال المنزلية دون تدخل من محطات الاستقبال الأرضية الكبيرة أو هي تلك الترددات التي تلتقط من قبل قمر محدد وتبث من مركز البث الخاص بها لكل من يستقبلها من خلال طبق خاص[11] .

_ هي جميع القنوات الفضائية التي تستقبل من الفضاء الخارجي عبر الأطباق أو الشبكة العنكبوتية أو وسائل الاتصال الأخرى، وتبث بطريقة رسمية أو غير رسمية مشفره أو غير مشفرة[12].

ويتم التقاط القنوات التلفزيونية الفضائية من محطات الإرسال و عبر الأقمار الصناعية مباشرة إلى الأجهزة التلفزيونية الفردية دون أي وسيط سوى ذلك الجهاز المسمى بالهوية المقعرة "الطبق" أو "الصحن الالتقاط " و يتماثل هذا الذي لا يتقيد بحدودي المكان و الزمان .

إن هذا النوع من الاتصال قد أفرز مشهدا اتصاليا عالميا لا يعترف بالحدود القطرية و فتح المجال كبيرا لوصول الصورة من و إلى جميع دول العالم و بالتالي أصبحت الجزائر منذ الثمانينيات من القرن الفارط مجالا مفتوحا لاستقبال العديد من القنوات التلفزيونية الدولية الحكومية و غير الحكومية بشتى الوسائط و

التي تحمل في طياتها نماذج ثقافية و حضارية مختلفة عن النماذج المحلية أو القطرية في مقوماتها و قناعاتها و أهدافها [13].

_ مفهوم الهوية الثقافية :

× الهوية :

يعني مصطلح " الهوية " الذات وهي مأخوذة من كلمة " هو " أي جوهر الشيء وحقيقته وبالنسبة لمفهوم " الهوية " في اللغة نجد أن المعجم الوسيط أشار إلي أن "الهوية " في الفلسفة هي حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره ، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله ، وتسمي البطاقة الشخصية أيضا" [14] ، كما تعرف الهوية بأنها كل ما يشخص الذات ويميزها وهي سمة جوهرية وليست منظومة جاهزة ونهائية وإنما هي تشابك مع الواقع والتاريخ ؛ فالهوية هي حماية الذات الفردية والجماعية من عوامل الهدم والاندثار .

11_ عبد الكريم بن عبد الله الحربيّ،**" الإنترنت والقنوات الفضائيّة ودورهما في الانحراف والجنوح"**، مكتبة العبيكان، الرياض، 2003 ، ص : 65 .

12_محمود شمال ، مرجع سبق ذكره , ص : 23 .

13_ فاضل حنا، **" الاتصال التلفزيوني ومدى تأثيره في الأطفال"** ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م ، ص : 11 .

14_ العربي ولد خليفة محمد،" **المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003،ص:56.

15_ العربي ولد خليفة محمد ، مرجع سبق ذكره ، ص : 57 .

16_ خضيرشعبان،" **مصطلحات في الإعلام والاتصال**" ، الجزائر: دار اللسان العربي ،ط1 ، ص : 184 .

17_ عبد الغني عماد، " **سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم و الإشكاليات...من الحداثة إلى العولمة** ، مرجع سبق ذكره ، ص :83 .

18_ عابد الجابري محمد، " **المسألة الثقافية في الوطن العربي**"، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 25، مارس 1999، ص : 23 .

19_ كوش دنيس، " **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**"، الطبعة الأولى، ترجمة: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، ص : 25 .

من الملاحظ أن الفرد يبدأ في إدراك هويته في سن مبكرة ، فقد أثبتت إحدى الدراسات أن السن الطبيعي لإدراك الطفل لهويته القومية تبدأ ببلوغه 8 –9 سنوات ، ويزداد إدراكه بتقدم عمره ، وبالتالي فإنه يمكن إكساب الفرد الاتجاهات الإيجابية نحو الولاء للوطن في سن مبكرة .

كما أن الهوية ترتبط بالانتماء ، فقد عرفها البعض بأنها " مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة ، والتي تولد الإحساس لدي الأفراد بالانتماء لشعب معين والارتباط بوطن معين ، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز، والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد"[15]

× **الثقافة :**

الثقافة في اللغة : تعنى كلمة " ثَقف " أي " قَوَم " الشيء فقال العرب ثقفت الرمح أي قومته ، أي جعلته على أحسن صورة ، و الثقافة كلمة عريقة في اللغة العربية فهي تعني صقل النفس و المنطق و الفطانة و في قاموس المحيط : ثقف ثقفا و ثقافة ، صار حاذقا خفيفا فطنا ، و ثقفه تثقيفا سواه ، و هي تعنى بتثقيف الإنسان أي تسويته فكرا و وجدانا و تقويمه سلوكا و معاملة[16].

والثقافة اصطلاحا : "هي ذلك التراث الحضاري ومنهجية التفكير و أسلوب العيش والمعاملة أي تلك الأمور التي تنطلق من ذاتية وشخصية الإنسان بما هو عليه من صفات"[17] .

قد يكون من أقدم التعريفات للثقافة وأكثرها شيوعاً حتى الآن وذلك لأهميته وقيمته التاريخية هو ذلك التعريف الذي قدمه "**إدوارد تيلور**" في نهايات القرن التاسع عشر في كتابه "الثقافة البدائية" والذي يقول فيه إلى أن الثقافة هي:

"كل مركب يشمل على المعرفة والمعتقدات ، الفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع [18]".

يرى علماء الاجتماع أن الثقافة : هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع [19].

وتعرف الثقافة أيضا : أنها أسلوب الحياة وهي مركب معقد يضم فنون المجتمع ومعتقداته وعاداته و مؤسساته ، قوانينه ، أعرافه ، إبداعاته وأساطيره ، ولغاته فالثقافة معناها واسع لأنها عبارة عن مجموعة النشاطات والمشروعات والقيم المشتركة التي تكون الأساس لدى الأمة والتي ينبثق منها تراث مشترك من الصلات المادية والروحية ، تضم مشاعر الانتماء والتضامن والمصير الواحد [20].

و استعملت الثقافة في العصر الحديث للدلالة على الرقي الفكري و الأدبي و الاجتماعي للأفراد و الجماعات ، و الثقافة ليست مجموعة من الأفكار فحسب و لكنها نظرية في السلوك بما يرسم طريق الحياة إجمالا ، و بما يتمثل فيه الطابع العام الذي ينطبع عليه شعب من الشعوب ، و هي الوجوه المميزة لمقومات الأمة التي تميز عن غيرها من الجماعات ، بما تقوم به من العقائد و القيم و اللغة و المبادئ و السلوك و المقدسات و القوانين و التجارب ، و بذلك فإن الثقافة هي المركب الذي يتضمن المعارف و العقائد و الفنون و الأخلاق و القوانين و العادات [21].

× **الهوية الثقافة** : يمكن تعريف الهوية الثقافية العربية الإسلامية بأنها مجموعة السمات والخصائص التي تنفرد بها الشخصية العربية ، وتجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الثقافية الأخرى وتتمثل تلك الخصائص في اللغة والدين والعادات والتقليد والأعراف وغيرها من المكونات الثقافية ذات السمة العربية والإسلامية [22].

فهي أيضا : تلك المبادئ الأصيلة والسامية والذاتية النابعة من الأفراد أو الشعوب وركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي والروحي والمادي بحيث يحس كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما ويميزه عن باقي

المجتمعات الأخرى ، والهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية لأعضاء الجماعة الموحدة التي ينتمي إليها الأفراد بالحس والشعور بالانتماء لها[23] .

التنشئة الثقافيـة: « عملية اجتماعية يكتسب الفرد بمقتضاها ثقافة مجتمعه ، كالعقائد والعادات و الأخلاق وصفات الثقافة التي يولد فيها، و كل ما يجعله جزءا من ثقافته ومجتمعه»[24] .

- **القيم :** القيمة عبارة عن فكرة يعتقد بها الإنسان ويعتنقها وتجعل منه إنسانا أو مواطنا صالحا ومتكيفا مع جماعته أو مجتمعه ، ولذلك يطلق على هذه القيم تعبير القيم الاجتماعية لأنها تنشأ من احتكاك الأفراد مع بعضهم البعض واتصالهم في جماعة أو مجتمع ، فالقيم هي الصفات الشخصية التي يفضلها أو يرغب فيها الناس فهي على اتصال مباشر بثقافة المجتمع ، فالعادات والتقاليد والأعراف تصنعها القيم في أي مجتمع [25].

20_ عابد محمد الجابري ، مرجع سبق ذكره ، ص : 24 .
21_ عبد الغني عماد ، مرجع سبق ذكره ، ص : 76 .
22_ لارين جورج،" **الايدولوجيا و الهوية الثقافية الحداثة و حضور العالم الثالث**"، ترجمة: فريال حسن خليفة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002 ، ص : 11 .
23_عابد محمد الجابري ، مرجع سبق ذكره ، ص : 43 .
24_ عبد الله ابراهيم ، **" التلقي والسياقات الثقافية "** ، منشورات الاختلاف ، 2005 ، ص : 12 .
25_ محمد فاتح الحمدي ، **" استخدام تكنولوجيات الاتصال والاعلام الحديثة وانعكاسه على سلوكيات الشباب الجزائري "** ، مجلة الدراسات الاعلامية القيمية المعاصرة ، عدد 1 ، 2012 ، ص : 36 .
26_ محمد فاتح الحمدي ، مرجع سبق ذكره ، ص : 37 .
27_ عبد الله ابراهيم ، مرج سبق ذكره ، ص : 34 .
28_ عبد الله بوجلال، "**الإعلام والوعي الاجتماعي لدى الشباب الجزائري**"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ، 1989 ، ص : 73 .

يعرفها " **كلوكهوهن** ":بأن القيمة مفهوم ضمني أو صريح ، مميز من مميزات الفرد أو خاصية من خصائص الجماعة حول ماهو مرغوب فيه والذي يؤثر على اختيار أنماط ووسائل وأهداف الفعل[26] .

" ويعرفها " **كرتش** " : بأنها المعتقدات لما هو مرغوب أو حسن مثل حرية الكلام و ماهو غير مرغوب فيه أو سيئ مثل : عدم الأمانة .

ويعرفها " **عزي عبد ا لرحمن** " : أن القيمة هي الارتقاء ، أي ما يسمو في المعنى ، والقيمة معنوية ويسعى الإنسان عمليا كلما ارتفع بفعله وعقله إلى منزلة أعلى "[27] .

× **مفهوم الشباب :**

الشباب : هو مرحلة المراهقة أو العبور من سن الطفولة إلى سن النضج وهي اليفاعة ويحصل في هذه المرحلة تحولات جسمية وجنسية و غريزية بحيث تؤثر الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية على نمو المراهقين ؛ ويرى علماء الاجتماع أن الشباب هم كل ما يدخل في السن من 15 إلى 25 سنة ، ويبنون رأيهم على أساس أن أولئك قد تم نموهم الفسيولوجي أو العضوي بينما لم يكتمل نموهم النفسي والعقلي اكتمالا تاما وبالتالي فهم في مرحلة وسط بين المراهقة وبين الرجولة الكاملة .

يتخطى فيها الأفراد مرحلة التوجيه والرعاية ويكونون أكثر تحررا ولهذا تحتاج هذه المرحلة لعناية خاصة

و يرى علماء النفس أن هذه المرحلة جد مهمة لما يطرأ على الفرد من تغيرات جنسية وعقلية ونفسية وقد قسموها إلى أربعة مراحل [28]:

1- مرحلة المراهقة التي تمتد من سن 12 إلى 15 سنة.

2- مرحلة البلوغ التي تمتد من 15 إلى 18 سنة.

3- مرحلة الشباب المبكر، و هي المرحلة التي تشمل الفترة 18 و 21 سنة.

4- مرحلة الشباب البالغ التي تمتد من 21 إلى 25 سنة.

× و الشباب المقصود في الدراسة الحالية هم الذين يعكسون المرحلة الجامعية أي الشباب الجامعي، والذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشر و الخامسة و العشرون، مع الأخذ بعين الاعتبار الاستثناءات الأخرى بمعنى كل الشباب الجامعي الذي يزاول دراسته في الجامعة الجزائرية أثناء فترة إجراء الدراسة .

× **الشباب الجامعي :**

يقصد بالشباب الجامعي الطلبة الجامعيين ويكون أغلبهم تتراوح أعمارهم ما بين 18 سنة وَ 26 سنة والطالب الجامعي هو الشخص المسجل في مؤسسة من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي ويتابع دراسته فيها بصفة رسمية ، ونقصد بالشباب الجامعي في هذه الدراسة طلبة السنوات النهائية _ الماستر والدوكتوراه _ في كلية العلوم الاجتماعية " عبد الحميد ابن باديس " .

9_ نظرية الغرس الثقافي كإطار نظري للدراسة :

يمكن وصف عملية الغرس بأنها نوع من التعلم العرضي الذي ينتج عن التعرض التراكمي لوسائل الإعلام خاصة " التلفزيون " ، حيث يتعرض مشاهد القنوات الفضائية دون وعي على حقائق الواقع الاجتماعي وان كانت لا تنقله بسياقاته الواقعية لتصبح لتلك الصور أساسية في ذهن المتلقي فعملية الغرس ليست عبارة عن تدفق موجة من تأثيرات التلفزيون إلى المشاهدين ولكنها جزء من عملية مستمرة وديناميكية للتفاعل بين الرسائل والواقع هذه النظرية تعلقت بوسيلة التلفزيون لدراسة العنف والجريمة في مضامين القنوات التلفزيونية وتطورت ونتج عنها أن الفرد الذي يتعرض لمضامين الفضائيات تنغرس فيه قيم وتصورات تجعله يتبناها ويظن أنها فعلا ما يحدث بالواقع وبالتالي تغرس فيه لا شعوريا ، فإذا سألناه عن ظاهرة ما يكون تفسيره ونظرته حسب ما يتلقاه من القنوات وتكون مغايرة دوما للواقع ، لكونه غير واع

بعملية صنع هذا الواقع ، بل إن وعيه لا يتعدى الشعور بالتسلية لقضائه ساعات طويلة أمام شاشة التلفاز[29] .

نظرية الغرس الثقافي هي نظرية اجتماعية تهدف لدراسة تأثير التلفزيون ، بحيث يرى مؤسسوا هذه النظرية أن الناس أسرى الواقع المصنوع فهم يعيشون ويتصرفون على واقع غير الواقع الحقيقي والاتجاه السائد في النظرية هو الخصائص الثقافية التي يقدمها التلفزيون ، خاصة وأن الإعلام العربي

عموما والجزائر على وجه الخصوص تعانى من التبادل اللامتكافئ فيما يعبر عنه بحال التبعية الإعلامية و الانبهار بالإعلام الغربي بصفة عامة والأمريكي بصفة خاصة ، وما يترتب على ذلك من تمثيل لأفكاره وثقافته ومفاهيمه، وما يترتب على ذلك من آثار سلبية على الهوية الثقافية للمجتمع العربي والجزائري ، كالتحولات التي طرأت علي بنية العقل لدى الشباب وكيف تشكل حسب تعاليم الثقافة الغربية وتمرده على ثقافته العربية و بروز مجموعة من التحولات خاصة على بنيته الذهنية وسلوكه وتصرفاته ، وحتى لهجته ونمط حياته و هذه التحولات أدت إلى محاولات طمس وتشويه هويته وخصوصيته الثقافية[30] .

فقد ظهرت في الو , م , أ خلال السبعينيات كمنظور جديد لدراسة أثر وسائل الإعلام بحيث يرون أن : " مداومة التعرض للتلفزيون ولفترات طويلة و منتظمة لدى المشاهد اعتقادا بأن العالم الذي يراه على شاشة التلفزيون ما هو إلا صورة عن العالم الواقعي الذي يحياه " .

29 _ جيهان أحمد رشتي، " **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**"، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993، ص : 135 .

عندما قال **G Gerbner** أن التلفزيون يعتبر قوة مسيطرة على المشاهدين ، وكانت هذه الأفكار نتيجة للجهود التي قام بها مجموعة من الباحثين في بحث تأثيرات التلفزيون على المجتمع الأمريكي عندما اجتاحت الو,م,أ موجة من العنف والاضطراب والجرائم والاغتيالات في نهاية الستينيات .

يرى أصحاب النظرية أن برامج التلفزيون تحدث أثار قوية على إدراك الناس للعالم الخارجي وخاصة هؤلاء الذين يتعرضون لتلك المضامين لفترات طويلة ومنتظمة وبالتالي فالصورة الذهنية التي تسود لدى جماعة ما، تكون ناتجة عن تكرار تعرض هذه الجماعة لأنواع خاصة من رسائل مضامين التلفزيون [31].

1_ منـهج الدراسـة :

منهج الدراسة الميدانية: « المنهج هو عبارة عن تلك الطريقة العملية التي ينتهجها أي دارس أو باحث في دراسته و تحليله لظاهرة معينة، أو معالجته لمشكلة معينة وفق خطوات بحث محددة من أجل الوصول إلى المعرفة اليقينية بشأن موضوع الدراسة و التحليل»[32].

لقد عرفته "مادلين غرافيتس" **Madeline Gravitz** المنهج : بأنه مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها بلوغ الحقائق المتوخاة مع إمكانية تبيانها والتأكد من صحتها [33] .

30_حسن عماد مكاوي ، "**الاتصال والنظريات المعاصرة** " ، الدار المصرية اللبنانية ، بدون طبعة ، ص 299.

31_ ميشال ماتلار أرمان، " **تاريخ نظريات الاتصال**" ، الطبعة الأولى، ترجمة: نصر الدين العياضي، الصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005 ، ص : 56 .

انطلاقا من طبيعة الدراسة التي تبحث في معرفة تأثير البث الفضائي على الهوية الثقافية و سعيا للوصول إلى نتائج حول ذلك سنعتمد على أسلوب الوصف من خلال دراسة عينة من الشباب الجزائري للوقوف على مدى تأثر الشباب بالقنوات الفضائية و كيفية توظيفها بما يخدمهم .

و لقد استخدم منهج الوصف و الذي يعتبر من أبرز المناهج التي تستخدم في الدراسات الإعلامية « ويعتبر منهج الوصف جهدا علميا منظما للحصول على بيانات و معلومات و أوصاف عن الظاهرة أو مجموع الظاهرات موضوع البحث عن العدد الأدنى من المفردات المكونة لمجتمع البحث»[34].

"كما يهتم هذا المنهج بشرح وتفسير الأحداث والمواقف المختلفة المعبرة عن الظاهرة أو مجموعة مهمة ومحاولة تحليل الواقع الذي تدور عليه الأحداث والوقائع وكذا محاولة تفسير الأسباب الظاهرية لتلك الأحداث ، بقصد الوصول إلى استنتاجات منطقية مفيدة تساهم في حل المشكلات أو إزالة معوقات أو الغموض الذي يكتنف بعض الظواهر ، من أجل تطوير الواقع واستحداث أفكار ومعلومات ونماذج سلوك جديدة .

وفي الوقت ذاته يستهدف المنهج الوصفي تصوير وتوثيق الوقائع والحقائق الجارية ويهتم في مجال دراسة جمهور المتلقين ، بوصف حجم وتركيب هذا الجمهور وتصنيف الدوافع والحاجات والمعايير الثقافية والاجتماعية وكذلك الأنماط السلوكية ودرجاتها أو شدتها ، ومستويات الاهتمام والتفضيل ويمثل الوصف في هذا الإطار الإجابة على السؤال لمن ؟ وأي الجمهور المتلقين ؟ "[35].

32_ محمد حسين سمير،" **بحوث الإعلام، دراسات في مناهج البحث العلمي**"، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة،1995،ص : 23 .

33_ محمد زيان عمر، " **البحث العلمي، مناهجه و تقنياته**" ، الطبعة الرابعة، الجزائر، 1983، ص : 43 .

34_ عبد الحميد محمد، "**البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**" ، الطبعة الأولى، عالم الكتب، 2000، ص : 32 .

وتجري هذه الدراسة بقصد اكتشاف ومعرفة تأثير البث التلفزيوني بجميع قنواته العربية والغربية على المشاهد الجزائري ووصف أثر هذه الوسيلة على قيم المجتمع وبنيته وثقافته وهويته وعاداته وتقاليده وبكل ما يرتبط بالموروثات .

11_ مجتمع الدراسة الميدانية وعينته :

« مجتمع البحث هو المجتمع الأكبر أو مجموع المفردات التي يستهدف الباحث دراستها لتحقيق أهداف الدراسة، ويمثل هذا المجتمع الكل أو المجموع الأكبر للمجتمع المستهدف، الذي يهدف الباحث دراسته ويتم تعميم نتائج الدراسة على كل مفرداته»[36] .

و« مجتمع البحث هو مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى، و التي يجري عليها البحث أو التقصي»[37]، إذاً مجتمع البحث هو المجتمع الأصلي للعينة و الذي يمثل مجموع وحدات البحث التي نريد الحصول على بيانات منها و عنها، « ويمكن القول بكل بساطة أن مجتمع البحث هو جميع مفردات الظاهرة التي يقوم بدراستها الباحث» [38] يعتبر المراهقون والشباب أكثر الفئات الجماهيرية شغفا بالقنوات التلفزيونية ؛ فهم فئة من فئات المجتمع الأكثر تقبلا وتأثرا وانبهارا بمحتويات وبرامج القنوات وتكون لدى هذه الفئة قابلية لاختبار وتجريب كل ما يبث عبر هذه الأخيرة .

و بالتالي مجتمع البحث هو الذي يهدف الباحث دراسته، و في حالتنا هذه مجتمع البحث هو فئة الشباب و نخص هنا الشباب الجامعي الجزائري، فالشباب الجامعي هو جميع الوحدات والمفردات الممثلة لمجتمع

35_ عبد الحميد محمد ، مرجع سبق ذكره ، ص : 34 .

البحث أو مجتمع العينة المراد دراستها ، ولأن الدراسة تهتم بكشف تأثير البث الفضائي بجميع قنواته على الهوية الثقافية لدى الشباب الجامعي .

× **عينة الدراسة :** في الكثير من الدراسات لا يمكن للباحث أن يتناول كل وحدات المجتمع الأصلي لهذا يتعين عليه اختيار بعض الوحدات الممثلة له ، فالعينة هي مجموعة صغيرة نسبيا من المجتمع العام و تشير العينة إلى مجموعة جزئية مميزة و منتقاة من مجتمع الدراسة ، فهي مميزة من حيث أن لها نفس

خصائص المجتمع، و منتقاة من حيث انه يتم انتقاؤها من مجتمع الدراسة وفق إجراءات و أساليب محددة فالعينة تعكس المجتمع الكلي للدراسة حيث أنها تتوافر على نفس خصائص المجتمع فهي حصر لمجتمع الدراسة إلى عدد مصغر، وتسمح العينة من الانتقال من الجزء إلى الكل، أي دراسة المجتمع الكلي في ضوء بعض أفراده « إذاً العينة هي جزء من مجتمع الدراسة الذي تُجمع منه البيانات الميدانية، وهي تعتبر جزءاً من الكل بمعنى أنه تؤخذ مجموعة من أفراد المجتمع على أن تكون ممثلة لمجتمع البحث»[39] وقد شملت عينة الدراسة مجموعة من الشباب الجامعي الجزائري، و السبب في اختيار الشباب الجامعي يعود لعوامل اجتماعية وثقافية ونفسية على اعتبار أن هذه الفئة لها قابلية أكثر من غيرها لتبني المستحدثات التكنولوجية ، بالإضافة إلى المستوى العلمي والمعرفي، وحب الاطلاع الذي تتميز به هذه الفئة ، كما أنها تعتبر الفئة الأولى المستهدفة غالبا من رسائل البرامج التلفزيونية ، أيضا أنها قابلة للتعامل و الإجابة على أسئلة المقابلة .

36- زيان عمر محمد، "**البحث العلمي مناهجه و تقنياته**" ، الطبعة 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983،ص : 76 .

37_ محمد عبد الحميد ، مرجع سبق ذكره ، ص: 495 .

38_ دليو فضيل ، " **قضايا منهجية في العلوم الاجتماعية** "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001 ، ص : 24 .

وقد روعي في اختيار مفردات العينة:

_ أن تشمل على فئة الشباب الجامعي فقط.

_ أن تتضمن العينة الجنسين معاً (ذكور و إناث).

_ أن تشمل ثلاثة أقسام من كلية العلوم الاجتماعية " عبد الحميد ابن باديس ".

_ أن لا يقل عدد أفراد العينة عن 12 عشر مستجوب .

واختيرت عينة الدراسة المكونة من 15مفردة بطريقة العينة القصدية الغير احتمالية ، بحيث يختار الباحث المفردات في هذه العينة بطريقة عمدية ، طبقا لما يراه من سمات أو خصائص تتوفر في المفردات بما يخدم أهداف البحث ، لفئة الشباب الجامعي بجامعة "مستغانم " حيث يتم اختيار المفردات بطريقة تحكمية لا مجال فيها للصدفة بل يقوم هو شخصيا باقتناء المفردات الممثلة أكثر من غيرها لما يبحث عنه من معلومات وبيانات [40] .

12_ أداة الدراسة الميدانية :

39_ موريس أنجرس ، **" منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية "** تدريبات علمية ، تر : بوزيد صحراوي واخرون ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص : 56 .

40_ زيان محمد عمر ، مرجع سبق ذكره ، ص : 84 .

وانطلاقا من طبيعة بحثنا تطلب منا الاعتماد على أداة من أدوات البحث العلمي وهذا بهدف الوصول إلى نتائج دقيقة وموضوعية وهي : المقابلة كأداة أساسية .

و « تعني المقابلة مجموعة أسئلة تطرح لأفراد عينة البحث، و التي تعطينا إجابات قابلة للعرض و التحليل و التعليل ، و التركيب و الوصول إلى نتائج تجيب على تساؤلات الإشكالية» [41].

فالمقابلة هي عبارة عن تفاعل لفظي ، يسمح للمبحوث بتخطي حدود الإجابة المجردة على أسئلة الباحث إلى الحرية الكاملة في الإجابة على الأسئلة بالطريقة التي يراها والتعبير عن أرائه و أفكاره ومعتقداته فهي أسلوب منظم يقوم على مجموعة من الخطوات والإجراءات العلمية والمنهجية ، التي تنظم اللقاء وتدير الحوار في إطار الأهداف البحثية لتنظيم المقابلة ، فهي ليست مجرد حديث أو حوار عادي بين طرفين ، ولكنها تهدف إلى تحقيق غايات البحث[42] .

تسمح أداة المقابلة بالتعمق في أغوار البحث ، لمعرفة أفكاره ,أرائه ومعتقداته ودوافعه ، من خلال الحوار المتصل والمناخ الودي الذي يعكسه نظام المقابلة ، وبهذا يمكن أن يتعرف على أبعاد جديدة في الدراسة لا يصل إليها من خلال الأساليب الأخرى ، ولذلك تظهر أهميتها في الحصول على البيانات الخاصة بالاتجاهات والآراء ، والمعتقدات والمشاعر فهي تتقرب أكثر من الظاهرة أو المشكلة ومفردات البحث والتعرف عن قرب على أبعاد جديدة فيها [43].

*** – تعرف المقابلة في الأوساط البحثية العلمية تحت أسماء عديدة مثل: الاستجواب ، الاستبار، وكلها كلمات تفيد الترجمة الواحدة لكلمة -interview– أنظر:**

41– أحمد بن مرسلي: **مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام و الاتصال**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص 220

42_ محمد عبد الحميد: مرجع سبق ذكره، ص 343.

43_ محمد عبد الحميد ، مرجع سبق ذكره، ص 495

إن المرونة التي يوفرها أسلوب المقابلة تسمح بالتغلب على الصعوبات العديدة التي تؤدي إلى التحريف في الإجابات ، أو نقص استجابات المبحوثين ، فهي تساعد على توضيح الأسئلة والغامضة وتبسيط معاني الكلمات والعبارات المستخدمة ، وعدم إهمال أو إغفال أي أسئلة .

و من خلالها يمكن الثقة في النتائج أكثر لأن الباحث يختار العينة التي سوف يقابلها اختيارا دقيقا ، يتفق مع أهداف البحث وبالتالي المقابلة هي الأداة الأقرب التي تخدم موضوع دراستنا خاصة و أن موضوع الهوية الثقافية يتطلب التعمق أكثر في استجواب المبحوثين و تركيز الاهتمام على فئة الشباب ، ذلك لأنهم هم الغد و هم الرابط بين جيل و جيل فكيف يمكن أن يحدث هذا التناقل بين الأجيال إذا حدثت قطيعة بينهما و منه فالآخر مدرك أنه إذا أراد ضرب هوية مجتمع ما فعليه بهذه الفئة، و هذا من خلال تفريغها من قيمها و ثقافتها و قطع حبال الانتماء عندها،و في سياق هذا الطرح تحاول الدراسة الحالية الوقوف عند

تأثير القنوات الفضائية بما تبثه من برامج وحصص ومسلسلات وغيرها على الهوية الثقافية ، بحيث تحاول هذه الأخيرة إضعاف الانتماء للمحلي (الوطن) عند الشباب و كذلك إضعاف الانتماء للقيم و للدين و الثقافة المحلية للمجتمع الجزائري ، و بالتالي إفراغ مدلول "الأنا" في تفرده بالنسبة "للآخر" ،مجسدا لقرية كونية متجاهلة لكل السياقات الثقافية و الاجتماعية و العرقية و الدينية المختلفة بين المجتمعات و إعطائها صبغة الانتماء الكوني إن صح التعبير.

ونوع المقابلة الذي يتماشى مع طبيعة الدراسة هي المقابلة " **الموجهة** " ويطلق عليها أيضا مصطلح المقابلة " **المقننة** " [44] ويتميز هذا النوع من المقابلات بالمرونة وتوجيه الأسئلة التي تكون محددة مسبقا وعادة ما تستخدم فيها الأسئلة ذات النهايات المغلقة وتسمح للمبحوث في التعبير عن آراءه ، و أفكاره ومعتقداته بحرية كاملة تعكس شخصيته وفق ما يخدم البحث .

13_حدود ومجالات الدراسة:

تشتمل الدراسة على المجالات والحدود التالية:

44 _ محمد عبد الحميد ، مرجع سبق ذكره ، ص : 496 .

المجال المكاني: تم اختيار كلية العلوم الاجتماعية عبد الحميد ابن باديس بمستغانم و تم الاعتماد على ثلاث تخصصات ، على اعتبار أن المعني هو الطالب الجامعي، وذلك من أجل الكشف عن تأثير القنوات التلفزيونية علي الهوية الثقافية.

أبرزها : قسم علوم الإعلام والاتصال ، قسم الفلسفة ، وقسم علم الاجتماع

المجال البشري: تطبق هذه الدراسة في حدودها البشرية على الشباب الجامعي المتابع للقنوات الفضائية في زمن إجراء الدراسة، بكلية العلوم الاجتماعية "مستغانم " والذين حدد عددهم بـ 12 مبحوث

المجال الزمني: أنجزت الدراسة الميدانية خلال الفترة ما بين26 أفريل و 15 ماي 2014 حيث تم إجراء المقابلات في كلية العلوم الاجتماعية " عبد الحميد ابن باديس " على أفراد العينة ، دامت المقابلات مابين ساعة والنصف إلى الساعتين ، تم فيها طرح الأسئلة باعتماد على دليل المقابلة إضافة إلى طرح أسئلة أخرى جاءت في سياق الحديث وكان تجاوب كبير من طرف المبحوثين .

خاتمـة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة، معالجة قضية هامة في مجتمعنا، قائمة في علاقة شباب مجتمعنا بوسيلة إعلامية متطورة، و استخدامها من طرف هذه الفئة كوّن لديهم هوية جديدة ، و البحث في حقيقته محاولة علمية للفت الانتباه إلى قضية تأثير استخدام القنوات الفضائية على الهوية الثقافية ، وهذا التأثير الذي صعب عزله عن متغيرات أخرى تتدخّل فيه ، ذلك أنه تتداخل عوامل عديدة في عملية التأثير على الهوية الثقافية.

و قد حاولت الدراسة أن تبحث في التخوفات التي تحوم حول التعرض للقنوات التلفزيونية، باعتبارها نموذج مثالي عملي للعولمة الإعلامية و الثقافية، و التي تسعى إلى تعميم معايير الحياة المادية للثقافة الغربية، و العمل على تغريب الفرد العربي المسلم و عزله عن قضايا أمته و همومها ، و العمل على التشكيك في انتمائه و من ثمة تغريبه عن مجتمعه و ثقافته بالإضافة إلى إشاعة ما يدعونه بالتحضر ومواكبة العصر ، و قتل أوقات الشباب ببرامج و محتويات لا طائل منها .

فمن خلال هذه الدراسة طرحنا إشكالية حاولنا فيها معالجة التأثير الحاصل في الهوية الثقافية لشبابنا عموما، و خصصنا منه هنا الشباب الجامعي، هذا الموضوع الذي ظهر في كل أطواره الدراسية أنه صعب، حيث كان أمر الإمساك به عسيرا، و من أجل ذلك و للاقتراب من هذا الطرح، كان لابد من الرجوع إلى ما كتب من دراسات سابقة شكلت إطارا نظريا أسهم إلى حد ما في إزالة بعض من هذا الغموض.

و حاولت الدراسات أيضا الوقوف عند مفهوم استعصى على الفهم في الكثير من الدراسات، و في هذه الدراسة في حد ذاتها ألا هو مصطلح "الهوية الثقافية"، فالعديد من البحوث تشكو من تناول هذا المفهوم

ذلك أنه متعدد الأبعاد واسع المداخل، و بالتالي حاولت الدراسة الاقتراب نوعا ما من المفهوم بصورة تتلاءم و توظيفه في هذا البحث.

إن ما تقدم من نقاط و نتائج مستخلصة في كافة أطوار هذه الدراسة و تحليلاتها المختلفة، يبين أن الخوض في هذه الثلاثية المطروحة (القنوات الفضائية، الهوية الثقافية و الشباب) من ناحية التأثير المحتمل حدوثه بينت أنها لا تزال في بدايات البحث فيها، ذلك أن الشباب يرى فيها وسيلة للترفيه وملىء الفراغ نافين أنها وسيلة إعلامية ذات تأثيرات واضحة على الشباب ، و التي أصبحت تأخذ صفة الجماهيرية.

و محاولة طرح هذا التأثير في هذه الدراسة، و هذا من خلال ما يمكن أن تأتي به هذه المنظومة من تغيرات ، يبقى إلى حد ما من الناحية العملية بعيد المنظور حدوثه يقع بصفة تراكمية، و لكن نظريا هناك تخوف قائم يزداد كلما ازدادت قدرات هذه الوسيلة. و الجدير بالذكر أن هذه الدراسة تسمح بكشف بعض المتغيرات المتبناة من قبل الشباب الجامعي والتي مصدرها برامج القنوات الفضائية التي تعددت ونقل مختلف الثقافات

و ما يمكن التأكيد عليه أن ما تم التوصل إليه في هذه الدراسة لا يعني بالضرورة أنه تعميم نتائج البحث و لكنها في حقيقتها حدود تخص الباحث في هذه الدراسة فقط، كجزيء يضاف إلى أجزاء بحثية أخرى قادمة فنتائج هذه الدراسة هي بالضرورة منطلق لأبحاث أخرى، و هذا من أجل تفعيل نتائج الأبحاث و الدراسات في بلدنا هذا، من أجل إثراء و تنويع التراكم المعرفي و العلمي.